افاضة العلام بتحقيق مسالة الكلام

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المومن السميع الشكور المجيب المتجلي في اسمايه المتقابلة
فهو العلي الاعلى والاقرب القريب احمده على ان هدانا للايمان
بما نزل من الفرقان والقران الحكيم واشهد ان لا اله الا الله
وحده واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ذو الخلق العظيم
صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه ايمة الهدي وتابعيهم من
الاولين والاخرين صلاة وسلاما فايضي البركات في السكنات
والحركات عدد خلق الله بدوام الله الملك الحق المبين ٥

اما بعد فاني لما وقفت على كتاب الابانة للشيخ الاشعري
على القدر الذي نقله الحافظ ابن عساكر في كتابه تبيين كذب
المفتري ورايته ناصا على انه قايل بقول الامام احمد بن حنبل
ثم وقفت على ما صح نقله عن الامام احمد فرايته لا يخالف قول
الاشعري في مسالة الكلام لتضمنه اثبات الكلام النفسي ايضا
ورايت من انكر الكلام النفسي من الحنابلة فقد انحرف عن سواء
السبيل وما تقتضيه الاحاديث وايات التنزيل حاولت
بتوفيق الله تقرير هذه المسالة على وجه يحقق فيه قول الامام
احمد والاشعري مخصصا وتظهر منه ما في كلام الحنابلة من
الخلل كما يطيق فيه بين قول الشيخ والامام منطبقا بحمد
الله وافيا بتحقيق المقام مشتملا على المنقول والمعقول على
طرف جديد يليق في توضيح المرام وسميته افاضة العلام
بتحقيق مسالة الكلام وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه

انيب **انا** شيخنا الامام غوث الانام المحقق الختم سيدي صفي
الدين احمد بن محمد بن يونس بن ولي الله احمد بن علي المقدسي الدجاني
المدني المعروف بالقشاشي قدس سره عن شيخه ابي المواهب احمد بن
علي العباسي الشناوي ثم المدني عن الشمس محمد الرملي عن القاضي زكريا
عن الحافظ ابن حجر عن الحافظ ابي هريرة عبد الرحمن بن الحافظ ابي عبد الله
محمد بن احمد بن عثمان الذهبي عن القاسم بن مظفر بن عساكر عن الشيخ
محيي الدين بن عربي اجازة عن الحافظ الكبير ابي القاسم علي بن الحسن
ابن عساكر اجازة انا ابو القاسم زاهر بن طاهر انا ابو بكر احمد بن الحسين
الحافظ انا علي بن احمد بن عبدان انا احمد بن عبيد الصفار ثنا عبيد
ابن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك ثنا عبد الله
ابن وهب عن مالك بن محمد بن حارثة الانصاري عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انعش حقا
بلسانه جرى له اجره حتى ياتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه
وهو مرتب على فاتحة وخاتمة الفاتحة في ذكر ما صح نقله فيها
عن الامام احمد رحمه الله تعالى وتحقيق مذهبه ثم نقل ما تيسر
نقله من كلام الاصحاب الدال على الوفاق المعنوي للاشاعرة في هذا
المرام ثم تحقيق مذهب الاشعري ببيان كاشف للغطا رافع للخلاف
عند كل منصف سليم الفطرة عن الشبه الخيالية لبيب من ذوي
الانصاف وهي مشتملة على فصول **الفصل الاول** في تحقيق
مذهب الامام احمد في هذه المسالة فنقول وبالله التوفيق
وبيده سلوك التحقيق اعلم اولا ان الحافظ ابن حجر

رحمه الله تعالى قال في فتح الباري في باب قوله تعالى ولا تجعلوا لله
اندادا من كتاب التوحيد ما ملخصه اشتهر انكار الامام احمد
ومن تبعه على من قال لفظي بالقران مخلوق والذي يتحصل من كلام المحققين
منهم انهم ارادوا حسم المادة صونا للقران ان يوصف بكونه مخلوقا
واذا حقق الامر عليهم لم يفصح احد منهم بان حركة لسانه اذا قرا
قديمة وانكر احمد على من نقل عنه انه قال لفظي بالقران غير مخلوق
وانكر على من قال لفظي بالقران مخلوق وقال القران كيف تصرف
غير مخلوق ولما ابتلي احمد بمن يقول القران مخلوق كان اكثر كلامه
في الرد عليهم حتى بالغ فانكر على من قال لفظي بالقران مخلوق لئلا
يتذرع بذلك من يقول القران بلفظي مخلوق واما قول من قال
ان الذي يسمع من القاري هو الصوت القديم لا يعرف عن السلف
ولا قاله احمد ولا اصحابه وانما سبب نسبة ذلك لاحمد قوله
من قال لفظي بالقران مخلوق فهو جهمي فظنوا انه سوى بين اللفظ
والصوت ولم ينقل عن احمد في الصوت ما نقل عنه في اللفظ بل
صرح في مواضع بان الصوت المسموع من القاري هو صوت القاري
والفرق بينهما ان اللفظ يضاف الى المتكلم به ابتداء فيقال
عمن روى الحديث بلفظه هذا لفظه ولمن رواه بغير لفظه
هذا معناه ولفظه كذا ولا يقال في شي من ذلك هذا صوته
قلت وعند ذلك ان الاشارة في قول الراوي للحديث بلفظه هذا
لفظه الى مثل لفظه وهو صحيح لانه لم ينطق الا بمثل الحروف
الذي نطق به المروي عنه من غير زيادة ونقص فصح انه لفظه اي

مثله ويتخلص من نوعه بخلاف الصوت فان الراوي لا يقصد ان
ينطق بها محاكيا لصوته حين سمعها منه حتى يتجه منه ان يقال
ان هذا صوته وانما يريد ان ينطق بالحروف التي نطق بها المروي
عنه كيف اتفق بمثل صوته او بغير مثل صوته وهو ظاهر عند
الالتفات والله اعلم ولنرجع الى النقل تتمة كلام الحافظ ابن حجر
قال رحمه الله فالقران كلام الله لفظه ومعناه ليس هو كلام غيره
ولم ينقل عن احمد قط ان فعل العبد قديم ولا صوته وانما انكر
اطلاق اللفظ وصرح البخاري بان اصوات العباد مخلوقة وان
احمد لا يخالفه في ذلك ولكن اهل العلم كرهوا التنقيب عن الاشيا
الغامضة وتجنبوا الخوض فيها والتنازع الا ما بينه الرسول عليه
الصلاة والسلام ومن شدة اللبس في هذه المسالة كثر نهي السلف
عن الخوض فيها واكتفوا باعتقاد ان القران كلام الله غير مخلوق
ولم يزيدوا على ذلك شيا وهو اسلم الاقوال والله المستعان
انتهى المراد نقله ملخصا قلت واذ قد كثر الخوض في هذه المسالة
وانتشرت فيها الاقوال وتباينت فيها الاراجيف اتسع الخرق
على الراقع كان الاليق في هذا الوقت التنقيب الذي يفصل
بين الحق والباطل بواضح التفصيل والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل فنقول قد تلخص مما نقلناه ان الامام احمد مع كونه
قايلا بان القران كلام الله غير مخلوق قايل بان اصوات التالين
للقران مخلوقة ومن المعلوم ان الحروف اللفظية كيفية للصوت
فاذا كان قايلا بان الصوت مخلوق لم يمكنه ان يقول بقدم الحروف

اللفظية التي هي كيفيات لهذا الصوت الحادث ضرورة فاستحالة
كون الكيفية قديمة مع كون ذي الكيف حادثا ومن المقطوع به
ان القران المتلو المسموع من التالين قران حقيقة شرعية معلوم
من الدين ضرورة واذا كان الامام احمد قايلا بحدوث اصوات
التالين المستلزم باللزوم البين لحدوث الحروف التي هي كيفيات
هذا الصوت مع كونه قايلا بان القران كلام الله غير مخلوق لزم
ان يكون قايلا بالكلام النفسي لله كما انه قايل بالكلام اللفظي لله
تعالى ليجتمع كلاماه من غير تناقض وايضاح ذلك يتوقف
على فهم المراد من الكلام النفسي واثباته بدلايل الكتاب والسنة
اللذين هما المتمسكان للامام احمد ولكل محق حيث قال الامام
رحمه الله اصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه والاقتدا بهم وترك البدع اذ كل بدعة
ضلالة وترك الخصومات في الدين والسنة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتباع القران وليس في السنة قياس ولا تضرب
لها الامثال ولا تدرك بالعقول ولا بالاهوا انما هو الاتباع
وترك الهوى انتهى يعني رحمه الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قد جاء من المتشابهات بما فوق طور العقول من طريق افكارها
فالسلامة والتحقيق ايضا في الايمان بها على ظاهرها مع
التنزيه بليس كمثله شي لا كما يتوهمه المتوهم فانها لا تدرك
بالعقول من حيث انها مفكرة وانما تدركها العقول بالوهب
الالهي من حيث انها قابلة قال الحافظ ابن حجر في توالي التانيس

قال

قال ابو اسماعيل الترمذي سمعت الحسين بن علي الكرابيسي
يقول قال الشافعي كل متكلم من الكتاب والسنة فهو الحق وما
سواه هذيان وقال في فتح الباري واخرج ابن ابي حاتم في مناقب
الامام الشافعي عن يونس بن عبد الاعلى سمعت الامام الشافعي
يقول لله اسما وصفات لا يسع احدا ردها ومن خالف بعد ثبوت
الحجة عليه كفر واما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل لان علم ذلك
لا يدرك بالعقل والروية والفكر فنثبت هذه الصفات وننفي
عنها التشبيه كما نفى عن نفسه فقال ليس كمثله شي انتهى
وهذا كما هو طريقة الامام احمد والامام الشافعي وغيرهما
من ايمة السلف طريقة الشيخ ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري
امام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين في زمانه بامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك في رويا راها كما هو مسطور
في كتاب تبيين كذب المفتري فيما ينسب الى الامام ابي الحسن
الاشعري للحافظ الكبير ابي القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى
وشكر سعيه باسانيده وملخص ذلك انه رحمه الله تعالى
راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكى اليه بعض ما به من تعارض
الادلة فقال له صلى الله عليه وسلم عليك بسنتي ورآه ثلاث مرات اخر
فقال له في كل ذلك يا علي انصر المذاهب المروية عني فانها الحق
قال فقلت اي في الثالثة يا رسول الله كيف ادع مذهبا تصورت
مسايله وعرفت ادلته منذ ثلاثين سنة لرويا فقال لي لولا اني اعلم
ان الله سيمدك بمدد من عنده لما قمت لك حتى ابين لك وجوهها

الى ان قال صلى الله عليه وسلم تخذ فيه فان الله سيمدك بمدد من
عنده قال فاستيقظت وقلت ماذا بعد الحق الا الضلال
واخذت في نصرة الحديث فكان ياتيني شيء والله ما سمعته
من خصم قط ولا رايته في كتاب فعلمت ان ذلك من امداد الله
تعالى الذي بشرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل
على اتصال سلسلة الاشعري اتصالا غيبيا برسول الله صلى
الله عليه وسلم بلا واسطة مشايخه وان نصرة الاحاديث انما حصلت
حصلت له ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد امره به ووعده
بالامداد الالهي وقد صدق الله وعده ونصر عبده بهدايته الى الحق
فنصر دينه باذنه سبحانه فالله هو الممد له بتوجه النبي صلى الله
عليه وسلم بالامداد المحمود عاقبة اثاره المنتج لفهم الكتاب والسنة
على الوجه المراد الذي هو الصراط المستقيم بين الزيغ في التاويل
والتشبيه والتعطيل وهذا من اوضح الاشارات الى كونه وانباعه
كبقية اهل السنة الذين عقيدتهم الاتباع الذي هو عين عقيدة
الاشعري على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان
الله عليهم فاهل السنة هم الفرقة الناجية المذكورة في قوله صلى الله
عليه وسلم وتفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا فرقة
واحدة قالوا من هم يا رسول الله قال الذين هم على ما انا عليه واصحابي
هذا وذلك اي كون الاشعري موافقا للسلف والايمة الاربعة
هو ان الاشعري قال في كتاب الابانة الذي هو المعتمد في
المعتقد فيما رويناه عنه بسندنا السابق الى الحافظ ابن عساكر

وهو منهاج الفرقة الناجية
يعني فهو اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم في يمينه بلا واسطة
صح

قال في كتابه التبيين في باب ما يوصف من مجانبة لاهل البدع
وجهاده وذكر ما عرف من نصيحته الامة وصحة اعتقاده بعد
ما نقل عن الفرق مسايل في طرفي الافراط والتفريط وبين ان الاشعري
سلك طريقة بينهما قال وهذا الطريق التي سلكها لم يسلكها
لشهوة وارادة ولم يجدها بدعة واستحسانا ولكنه اثبتها ببراهين
عقلية مخبورة وادلة شرعية مسبورة الى ان قال فاذا كان
ابو الحسن كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد مستصوب المذهب
عند اهل المعرفة بالعلم والانتقاد ولا يقدح في معتقده غير اهل
الجهل والعناد فلابد ان يحكى عنه معتقده على وجهه بالامانة
ويجتنب ان يزيد فيه او ينقص منه تركا للخيانة ليعلم حقيقة
حاله في صحة عقيدته في اصول الديانة فاسمع ما ذكره في اول
كتابه الذي سماه بالابانة قال الحمد لله الاحد الواحد
العزيز الماجد الى ان قال بعد اكثر من ورقة اما بعد فان كثيرا
من المعتزلة واهل القدر مالت بهم اهواؤهم الى التقليد لروسايهم
ومن مضى من اسلافهم فتاولوا القران على ارايهم تاويلا لم ينزل الله
به سلطانا ولا اوضح به برهانا ولا نقلوه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا عن السلف المتقدمين وساق الكلام الى ان قال فان
قال قايل قد انكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية والرافضة
والمرجئة فعرفونا قولكم الذي تقولون به وديانتكم التي تدينون
بها قيل له قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها
التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما روي

عن الصحابة والتابعين وايمة الحديث ونحن بذلك معتصمون
وبما كان عليه احمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل
مثوبته قايلون ولمن خالف قوله مجانبون لانه الامام الفاضل
والرييس الكامل الذي ابان الله به الحق عند ظهور الضلال واوضح
به المنهاج وقمع به المبتدعين وزيغ الزايغين وشك الشاكين
فرحمه الله تعالى من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع ايمة المسلمين
وجملة قولنا انا نقر بالله وملايكته وكتبه ورسله وما
جا من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا نرد من ذلك شيا الى ان قال وان الله مستو على عرشه
كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجها كما قال ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان له يدين كما قال بل يداه
مبسوطتان وقال لما خلقت بيدي وان له عينين بلا كيف
الى ان قال ونقول ان القران كلام الله غير مخلوق ثم قال وندين
ان الله يرى بالابصار الى ان قال وان الله يتجلى للجبل فجعله
دكا ثم قال وندين بانه يقلب القلوب وان القلوب بين اصبعين
من اصابعه وانه يضع السموات على اصبع والارضين على اصبع
كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ونصدق ق
بجميع الروايات التي اثبتها اهل النقل من النزول الى سما الدنيا
وان الرب يقول هل من سايل هل من مستغفر وساير ما نقلوه
واثبتوه خلافا لما قاله اهل الزيغ والتعطيل ونعول
فيما اختلفنا فيه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

واجماع

واجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله
بدعة لم ياذن الله لها ولا نقول على الله ما لا نعلم ونقول ان
الله يجي يوم القيمة كما قال وجا ربك والملك صفا صفا وان الله
يقرب من عباده كيف يشا كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
الى اخر ما ساقه رحمه الله وفيما نقلناه كفاية ببيان الوفاق
وبالله التوفيق ومنه يتضح مصداق ما قاله التاج السبكي رحمه
الله في ترجمة الحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي من طبقاته
بعد قوله وكان يذهب الى مذهب ابي الحسن الاشعري ما نصه
قلت وهو مذهب المحدثين قديما وحديثا الا من ابتدع فقال
بالتشبيه او من لم يدر مذهب الاشعري فرده بناء على ظن فيه ظنه
والفريقان من اصاغر المحدثين وابعدهم عن الفطنة انتهى
وقال الحافظ ابن عساكر في التبيين ما نصه ولسنا نرى
الايمة الاربعة في اصول الدين مختلفين بل نراهم في القول بتوحيد
الله وتنزيهه في ذاته وصفاته موتلفين والاشعري رحمه
الله في الاصول على منهاجهم اجمعين انتهى واذا سمعت اتفاق
الايمة الاربعة ثم موافقة الاشعري لهم بنقل الحفاظ الثقات
الاثبات فاستمع الان لتقرير اثبات الكلام النفسي المنسوب
الى الاشعري مع انه لم ينفرد به عن اهل السنة اذ احقق المقام
بل هو قول الامام احمد وغيره من ايمة اهل السنة اذا انكشف
الغطا عن وجه المرام باذن الله القوي القاهر العليم العلام
فنقول وبالله التوفيق وبيده ملكوت التحقيق ان الانسان

لا كلام بمعني المتكلم الذي هو المصدر ولا كلام بمعني المتكلم به الذي
هو الحاصل بالمصدر ولفظ الكلام في اللغة موضوع للمعني الثاني
اي لما يتكلم به قليلا كان او كثيرا حقيقة او حكما وقد يستعمل استعمال
المصدر كما ذكره الرضي وكل من المعنيين اما لفظي او نفسي فالاول
من اللفظي فعل الانسان ونفسه اعني فعله الذي لم يبرز الى الجوارح
والتحقيق افعال الجوارح من القلب كما دل عليه الدلايل الشرعية
والعقلية والكشفية الثاني من النفسي كيفية في النفس اذ لا صوت
محسوسا عادة في النفس وانما هو صوت معنوي اما الكلام اللفظي
فمحل الوفاق فلا حاجة الى الكلام فيه واما النفسي فمعناه الاول
المصدري كما مر فعل النفس اي تكلم الانسان بكلمات ذهنية
والفاظ مخيلة يرتبها في الذهن علي وجه اذا تلفظ بها بصوت
محسوس كانت عين كلماته اللفظية بترتيبها الخارجي المسموعة
عادة والمعني الثاني هو هذه الكلمات الذهنية والالفاظ
المخيلة المرتبة ترتيبا ذهنيا منطبقا عليه الترتيب الخارجي
والدليل علي ان للنفس كلاما بالمعنيين الكتاب والسنة فمن
الايات قوله تعالي فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال
انتم شر مكانا وجه الاستدلال به ان قال بدل من اسر او استيناف
جواب عن سوال مقدر نشا من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل
فماذا قال في نفسه في ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا وعلي
التقديرين فالاية دالة علي ان للنفس كلاما وقولا بالمعني
المصدري الذي هو التكلم وكلاما وقولا بمعني المتكلم به والمقول

الذي هو الحاصل بالمصدر والاول مستفاد من قال واسر والثاني
هو جملة انتم شر مكانا وهذه الجملة من حيث انها كلام يوسف
عليه الصلاة والسلام لا من حيث انها كلام الله تعالى في الذهن كلمات
مخيلة مرتبة في الخيال ترتيبا خياليا ليست عارضة لصوت
محسوس عادة قطعا فاذا نطق بها المتكلم نطق بها على ذلك
الترتيب الذهني وصارت عارضة لصوت محسوس ومنها
قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى قال الزمخشري
في الكشاف فان قلت ما المراد بالسر والنجوى قلت المراد بالسر
ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا
به فيما بينهم انتهى وما حدث به الرجل نفسه هو الكلمات الذهنية
والالفاظ المخيلة التي يرتبها الانسان في خياله وهذا هو
المراد بالكلام النفسي وهو احد قسمي السر المذكورين في كلام
الزمخشري وايضاح ذلك ان السر في اللغة ما يكتم قال
في القاموس السر بالكسر ما يكتم كالسريرة والجمع اسرار واسره
كتمه واظهره ضده واليه حديثا افضى انتهى ومن الواضح ان ما يكتم
اعم من ان يكتم في النفس من غير اسماع احد اصلا ومن ان يسمع غيره
في مكان خال فيشمل السر لقسميه ودليل السر بالمعنى
الاول اعني قوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم
اي كتم ذلك الكلام في نفسه ولم يظهره لهم ودليله بالمعنى
الثاني قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا اي
افضى اليها حديثا في مكان خال ومما يزيد ما قررناه تاييدا

ما رواه جماعة منهم البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال السر
ما اسره ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي على ابن ادم مما هو فاعله
قبل ان يعلمه وعن ابن عباس ايضا السر ما علمته انت واخفى
ما قذف الله في قلبك مما لم تعلمه اخرجه الحاكم وغيره وصححه
واخرج عبد الله بن احمد في زوايد الزهد وغيره بلفظ يعلم
ما تسر في نفسك ويعلم ما تعمل غدا وعن قتادة قال اخفى
من السر ما حدثت به نفسك وما لم تحدث به نفسك ايضا مما
هو كاين وعن عكرمة قال السر ما حدث الرجل به اهله واخفى
ما تكلمت به نفسك ايضا مما هو كاين كذا في الدر المنثور للسيوطي طى
رحمه الله تعالى والغرض ان السر قد فسر بالمعنيين مفرقا
وقد صرح عكرمة باطلاق التكلم مكان التحديث وفسر الاخفى
بالمعنى الاول للسر واقتصر في تفسير السر على معناه
الثاني وذلك غير قادح في قصدنا لان المراد اثبات كلام
للنفس غير عارض حروفه للصوت وهو صريح في كلامه وان
سماه اخفى ثم ان اطلاق التكلم مكان التحديث نص في محل
النزاع وبالله التوفيق فظهر ان للانسان سرا يعني
الكلام النفسي الذي حروفه لا تعرض لصوت محسوس وان له
سرا تعرض حروفه لصوت محسوس خفي كما ان له جهرا تعرض
حروفه لصوت رفيع فكل اية ذكر فيها السر او ما يتضمن السر
فهي دليل على الكلام النفسي كقوله تعالى وهو الله في السموات

وفي الارض يعلم سركم وجهركم الاية وقوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله والكلام النفسي مما يخفونه
في انفسهم وقوله تعالى الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
وقوله تعالى في هود يعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله في النحل
لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله تعالى
اني اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون والكلام النفسي داخل
فيما يكتمونه وقوله تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
وقوله تعالى وما تخفي صدورهم اكبر وقوله تعالى ان تبدوا خيرا
او تخفوه ومعلوم ان كلام النفسي داخل فيما في الانفس وفيما
تخفيه الصدور وقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا
وقوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما
في قلوبهم وقوله تعالى ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وقوله
تعالى والله يعلم ما في قلوبكم وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون وظاهر ان ما في قلوبهم شامل للكلام النفسي كما يخفى
وما يكتم وقوله تعالى فانه يعلم السر واخفى وقوله تعالى يعلم
الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وقوله تعالى قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض وقوله في النمل ان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم وما يعلنون وفي القصص وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون وقوله تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه
فان الله كان بكل شيء عليما ومن المعلوم ان ما تكن صدورهم من الكلام
النفسي كالذي يخفونه وما يعلنون هو الكلام الجهري وقوله

تعالى فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله
تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون وقوله تعالى ونعلم ما توسوس س
به نفسه ونحن اقرب والوسوسة كلام نفسي لانه حديث النفس والشيطان
كما سيجيء نقله عن القاموس وقوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به انه
عليم بذات الصدور وظاهر ان الكلام النفسي داخل فيما تخفي
الصدور وفي ذات الصدور الى غير ذلك من الايات التي في هذا
المعنى ومنها قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به
الخ وهي نوع من الكلام يتضمن طلب المراة فان عرض به كان كلاما لفظيا
وان اكنه في نفسه كان كلاما لفظيا وحيث اطلق الله الخطبة
بالكسر التي هي نوع من الكلام على ما اكنوه في انفسهم مع انه لا صوت
في النفس محسوسا تعرضه حروفها بلا شبهة دل على ان الكلام حقيقة
ليس مختصا بحروف تعرض للاصوات بل هو اعم اذ الاصل في الاطلاق ق
الحقيقة فلا يعدل عنه الا لصارف وهو مفقود هنا فاطلاق
الخطبة على ما اكنوه في انفسهم دليل على عدم انحصار الكلام
الحقيقي في اللفظي وهو المطلوب وهو واضح جدا لمن انصف
وبالله التوفيق ومنها قوله تعالى يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا
اي يقولون في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض هذا الكلام
اي لو كان لنا من الامر شيء الخ وعلى الاول هو السر بالمعنى الاول
وهو الكلام النفسي وفيه الشاهد وعلى الثاني هو السر بالمعنى

الثاني

الثاني او النجوى وقدم البيضاوي المعنى الاول على الثاني لانه
اسرع انسباقا الى الذهن من المعنى الثاني والله اعلم والايات في هذا
المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن انصف ولم يتعسف
ومن الاحاديث ما رواه ابو القاسم الطبراني في المعجم من طريق
الحسن بن حاش الكوفي عن ام سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله
عليه وسلم انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله رجل فقال
اني لاحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لاحبطت اجري فقال لا يلقى
ذلك الكلام الا مومن فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى ذلك
الشيء المتحدث به في النفس من غير ان يتكلم به بلسانه المنعوت
بالنعت المذكور كلاما في صريح كلامه مع ان تلك الكلمات
الذهنية ليست حروفها عارضة للصوت المحسوس قطعا والاصل
في الاطلاق الحقيقة فلا يعدل عنه الا لصارف ولا صارف
هنا وهو دليل على ان الكلام الحقيقي ليس منحصرا فيما يعرض حروفه
للاصوات المحسوسة بل هو اعم فظهر ان الكلام في اللغة
ما يتكلم به في الظاهر او الباطن اي باللسان او في النفس قليلا
كان او كثيرا حقيقة او حكما كما مر وبرز بدره وضوحا قول
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر يوم السقيفة فعج
حيث يقول فلما سكت اي خطيب الانصار اردت ان اتكلم وكنت
زورت في نفسي مقالة اعجبتني اريد ان اقدمها بين يدي
ابي بكر الى ان قال فتكلم ابو بكر فكان هو اعلم مني واوقر والله
ما ترك من كلمة اعجبتني في تزويري الا قال في بديهته

مثلها او افضل منها حتى سكت الاثر بطوله فانه رضي الله عنه سمى
الالفاظ المخيلة المرتبة في الذهن مقاله وسمى كل جزء من اجزائها
المخيلة التي اجتبته كلمة مع انها ليست لفظا حقيقيا اي ليس
حروفها عارضة للصوت المحسوس قطعا والاصل في الاطلاق
الحقيقة فلا يعدل عنه عند عدم الصارف كما هنا وهو دليل
على ان الكلمة الحقيقية قد تكون حروفها عارضة للصوت المحسوس
فيكون لفظا حقيقيا ايضا وقد لا يكون كذلك فتكون كلمة
حقيقية لغوية ولفظا مخيلا لا حقيقيا محسوسا بل في حكم
المحسوس فالكلام الحقيقي ليس مختصا باللفظي بل يعم اللفظي
والنفسي وهو المطلوب ومنها ما عزاه الحافظ السيوطي
في الجامع الكبير الى ابي يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسوسة فكبر ثلاثا ثم
قال انما يختبر بهذا المومن وفي القاموس الوسوسة حديث النفس
والشيطان الخ فالمشار اليه لهذا الحديث هو حديث
النفس والشيطان الذي هو الكلمات المخيلة المرتبة في الذ هن
متعلقة بامور يكره الانسان ان ينطق بها وفي قوله
صلى الله عليه وسلم لا يلقي ذلك الا مومن وقوله انما يختبر بهذا المومن
حيث اتى باسم الاشارة اشارة الى الكلام النفسي رد على من رد على
الاشعرية بقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الاية قال لان الاشارة بالمثل
الى شيء حاضر فلو كان كلام الله معنى قائما في النفس كما قال

الاشعرية

الاشعرية لم تصح الاشارة اليه انتهى ووجه الرد ظاهر غني عن البيا ن
وعن مجاهد قال لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم الاية شق ذلك
عليهم قالوا يا رسول الله انا لنحدث انفسنا بشيء ما يسرنا ان
يطلع عليه احد من الخلائق وان لنا كذا وكذا قال اولقد
لقيتم هذا ذلك صريح الايمان الحديث واخرج الطبراني
في الكبير من طريق علي بن عبد العزيز عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق انه ليعرض في نفسي
الشيء لان اكون حممة احب الي من ان اتكلم به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله ان الشيطان قد ايس ان يعبد بارضي
هذه ولكنه رضي بالمحقرات من اعمالكم فالمراد بالشيء الذي
يعرض في النفس هو حديث النفس والشيطان قد وصل التكلم
به في الكراهة عنده الى هذا الحد الذي عبر عنه وقد سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كلاما فحديث ام سلمة السابق مع ان حروفه
ليست عارضة لصوت محسوس بل لا يريد ان يتكلم بها لعلمه
بقبحها المقتضي ايمانه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ذاك محض الايمان
وفي لفظة ذاك صريح الايمان لما شكوا اليه ما يجدون من الوسوسة
اي وجدان قبح ذلك الخاطر وعلمكم بفساده وامتناع نفوسكم
عنه والتجافي عن التفوه به مقتضى خالص الايمان وصريحه
كما مر انما يختبر بذلك المومن ولا يلقي ذلك الكلام الا مومن وذلك
لان الشيطان انما يوسوس بمثل هذا ليخرج المومن عن ايمانه
بالتشكيك والكافر لا ايمان عنده فلا يحتاج الى ان يشككه وكلما

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسماه كلاماً مع انتفا الصوت
دل على ان الكلام الحقيقي ليس مختصاً باللفظي وهو المطلوب
المطلوب ولولا اجماع الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم على
ثبوت الكلام النفسي لما اشتد عليهم نزول قوله تعالى ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ولكنه اشتد فقد
وردانها لما نزلت ضج المومنون منها ضجة وفي لفظ اشتد
ذلك على المسلمين وشق عليهم وفي لفظ ثمت اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
جثوا على الركب فقالوا يا رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق
الى ان قالوا وقد انزل الله عليك هذه الاية ولا نطيقها وفي
رواية فانها قلوبنا فلسنا بايدينا وفي رواية الحديث احدنا
نفسه فيحاسب به وفي رواية كيف نتوب من الوسوسة كيف
نمتنع منها حتى نزلت لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدو رها
ما لم تعمل به فكيف يضج الصحابة عن العدم وكيف يتجاوز عما لا وجود
له هذا ظاهر البطلان قطعا فظهر ان الكلام النفسي امر مجمع
عليه عند الصحابة بعد دلالة الكتاب والسنة الصحيحة
عليه وبالله التوفيق ومنها قوله صلى الله عليه وسلم اغنى
الناس حملة القران من جعله الله في جوفه وقوله صلى الله
عليه وسلم ومثل من تعلمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جراب
اوكي على مسك وقوله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فقد

استدرج النبوة بين جنبيه وقوله صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك
الذي بيده الملك في قلب كل مومن وقوله صلى الله عليه وسلم في ذيل حديث
كذلك مثل القران اذا قراته وكان في صدرك وقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث سهل بن سعد الساعدي ماذا معك من القران قال معي سورة
كذا وسورة كذا عددها قال اتقراهن عن ظهر قلبك قال نعم قال
اذهب فقد ملكتكها بما معك من القران وقوله صلى الله عليه وسلم
اقروا القران فان الله لا يعذب قلبا وعى القران وقوله صلى الله عليه وسلم
يبعث رجل يوم القيامة لم يترك شيا من المعاصي الا ركبها الا انه كان
يوحد الله ولم يكن يقرا القران الا سورة واحدة فيومر به الى النار
فطار من جوفه شيء كالشهاب فقال اللهم اني مما انزلت على نبيك وكان
عبدك يقروني فما زالت تشفع حتى ادخلته الجنة وهي المنجية تبارك
الذي بيده الملك وجه الاستدلال بهذه الاحاديث وما معناه
انها دلت بصراحتها على تسمية ما في الجوف والقلب فالصدر وبين
الجنبين قرانا والقران كلام الله ومن المقطوع به ان الذي في الجوف
والقلب والصدر انما هو الحروف المخيلة والكلمات الذهنية وليست
عارضة لصوت محسوس ثمة بلا اشتباه والاصل في الاطلاق الحقيقة
ففيها دليل على ان الكلام الحقيقي ليس منحصراً في الحروف العارضة للصوت
بل هو يعم اللفظي والنفسي وهو المطلوب وبالله التوفيق والذي يوضح
وجود الحروف المخيلة في القلب تجسد سورة الملك يوم القيمة
بصورة شهاب وطيرانها من جوف قاريها فليتنبه له ولامثاله
الكثيرة والله الهادي لا رب غيره ومنها قوله صلى الله عليه وسلم

اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه
اخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابن لال عن ام سلمة رضي الله عنها
واسناده جيد كما ذكره العراقي ولفظ رواية الديلمي كما قال المناوي
من قلبه مكان نفسه وعلى الروايتين ففيه دليل على ان للنفس والقلب
كلاما فان الامر والنهي من اقسام الكلام والواعظ من يتكلم بالنصيحة
وهو الكلام المشتمل على الترغيب والترهيب ويؤيده حديث استفت
قلبك وفي رواية نفسك فانه لا يستفتى الا من يفتي والفتوى كلام
يتضمن بيان حكم شرعي ومنها الحديث القدسي الثابت في
الصحيحين وغيرهما انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني
فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي الحديث وعند الحاكم بلفظ من
ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله في نفسه الحديث وقد قال الله تعالى
اذكروني اذكركم وعن ابن عباس في قوله تعالى ولذكر الله اكبر
يقول ولذكر الله العباد اكبر من ذكرهم اياه ومثله عن ابن مسعود
وابن عمر وغيرهم ووجه الدلالة منه الاسما هو المتكلم به فاذا
قال العبد في نفسه مثلا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقد ذكر الله في نفسه
اي تكلم تكلما نفسيا بهذه الكلمات المخيلة الذهنية المشتملة
على ذكر الله من التسبيح والتحميد وغيرهما فتلك المخيلة
الذهنية هي الكلام النفسي بمعنى المتكلم به وتكلمه بها في نفسه هو
كلامه النفسي بالمعنى المصدري وهذا الحديث كما ان فيه دليلا
على ان للعبد كلاما نفسيا بالمعنيين كذلك فيه دليل على ان

له سبحانه كلاما نفسيا بالمعنيين ايضا ولكنهما في الله سبحانه
بوجه اخر غير الوجه الذي في العبد فانه سبحانه ليس كمثله شيء في
ذاته وصفاته فالمعنى الاول للحق صفة ازلية منافية للافة
الباطنية التي بمنزلة الخرس في التكلم الانساني اللفظي ليس من
جنس الحروف والالفاظ اصلا وهذه الصفة واحدة بالذات
تتعدد تعلقاتها حسب تعدد المتكلم به من الكتب المنزلة
وغيرها من كلمات ووقوع ذكره تعالى للعبد في الحديث المذكور جزاء
لذكر العبد اياه للحادث بالاتفاق انما يستلزم حدوث تعلق
الذكر بالمعنى المصدري الذي هو التكلم باسم العبد الذاكر لله تعالى
لا نفس التكلم لان حاصل المعنى من تعلق تكلمه بذكر اسمي تعلق تكلمي
بذكر اسمه فالواقع جزاء في الحقيقة انما هو التعلق ومن المعلوم المقرر
ان التعلق من الامور النسبية التي لا وجود لها في الخارج وتجددها
لله تعالى مما اتفق عليه العقلاء كما حكاه صاحب المواقف في المقصد
السادس من المرصد الثاني من الموقف الخامس من الالهيات
وحينئذ فلا اشكال فان قلت اذا كان التعلق حادثا كان
متعلقه الذي هو المتكلم به من اسم المذكور حادثا ايضا قلت
انما يلزم ذلك في التعلق التنجيزي ولا يضر ذلك لانا لا ننكر
ذلك كما لا ننكر حدوث المنزل اي صورة الالفاظ المخيلة والمسموعة
والمكتوبة بحدوث التنزيل ولكنا نقول ان التعلق المعنوي
التقديري ازلي وكذلك متعلقه من اسم الذاكر لله لان الحوادث
ما تبرز الى الشهادة الا على حسب ما هي عليه في العلم قطعا

والعلم ازلي فكذلك المعلومات في وجودها العلمي ولا شك ان من
المعلومات كلمات الله كلها وكلمات العباد كلها لفظيها ونفسيها
بتعلقاتها ونسب بعضها الى بعض نفيا واثباتا ومنها امر الذاكر لله
وتعلق التكلم الازلي به تعلقا معنويا تقديريا والتعلق التنجيزي
صورة له وهو الذي يتجدد ويزول واما المعنوي التقديري
فازلي مع متعلقه الذي هو المتكلم به النفسي وفيه المطلوب
فليفهم وسيجي في الفصل الرابع ما يتضمن ايضاح هذا المقام
وهو ما يذكر في جواب السوال المذكور في قوله فان قلت هل يوجد
في كلام الاشعري ما يدل على ان ذلك ليس من قيام الحوادث بالله
تعالى في شي وبالله التوفيق ومنه ينكشف وجه صحة
نسبة السكوت اليه سبحانه من وجه اخر في قوله صلى الله عليه وسلم
وسكت عن اشيا رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها الحديث فان
حاصله ان تكلم الذي هو صفة ازلية لم يتعلق ببيان حكم اشيا
رحمة لا نسيانا مع تحقق اتصافه ازلا بالتكلم النفسي وعدم تعلقه
بذلك انما يلزم منه انتفا هذا التعلق الخاص للتكلم الازلي لا انتفا
نفس التكلم الازلي وهو ظاهر عند الالتفات ولا اشكال في ذلك
ايضا لان الامور النسبية اذا جاز تجددها لله تعالى باتفاق
العقلا فقد جاز انتفا بعضها دون بعض تحقيقا لمعنى التجدد
ولا منافاة بين الاتصاف بالتكلم النفسي الازلي المنافي للسكوت
الباطني والاتصاف بالسكوت بالمعنى المذكور اي عدم تعلق
تكلمه بامر خاص لان المنافي للتكلم النفسي هو السكوت بمعنى

انتفا صفة التكلم راسا لفظيا كان او نفسيا واما السكوت عن امر خاص
فيجامع التكلم ولا ينافيه لانه راجع الى انتفا بعض المتعلقات للتكلم
وتحقق بعضها لا الى انتفا نفس التكلم والاشكال في ذلك لا في النفسي
ولا في اللفظي هذا والمعنى الثاني لله تعالى كلمات غيبية وهي الفاظ
حكمية مجردة عن المواد مطلقا حسية كانت او خيالية او روحانية
وتلك الكلمات ازلية مترتبة وضعا اي يتقدم بعضها على بعض ويتأخر
بعضها عن بعض في الوضع الغيبي العلمي ولكن ترتبها في علمه تعالى ازليا
اي لا يتوقف وجود بعضها على انقضا بعض لاستحالته ازلا اذ لا زمان ثمة
بل المتقدم والمتأخر في الوضع موجودان معا اي لا تقدم ولا تاخر
بينهما في الوجود بل في الوضع من غير تعاقب ثمة تحقق الاستحالة وفهم
كونها مرتبة وضعا من غير تعاقب يحتاج الى التفات وهو ان التعاقب
بين الاشيا من توابع كونها زمانية وحيث لا زمان في الازل فلا
تعاقب زمانيا مع كونها مترتبة وضعا في ذاتها ويقرب ذلك
الى الذهن من بعض الوجوه انك اذا افتحت المصحف مثلا وقع بصرك
صح على الصفحة بجميع سطورها المشتملة على كلمات مترتبة في اللوح
الكتابي المحسوس دفعة واحدة فهي مع كونها مترتبة في الوضع
لا تعاقب بين كلماتها في وجودها وظهورها لبصرك بل توجد مبصرة
لك دفعة واحدة والله سبحانه من اسمائه النور فجميع معلوماته من الكلمات
الحقية والخلقية وغيرها من الكائنات مكشوفة له تعالى ازلا في
علمه الازلي بلا سبق خفا ومكشوفة لبصره الازلي بلا سبق غطا وكذلك
الكلمات كلها حقية وخلقية لفظية ونفسية مسموعة لله

تعالى ازلا كما هي مسموعة فيما لا يزال ثم تلك الكلمات الغيبية المترتبة
ترتبا وصفيا ازليا مقدرا بينها التعاقب فيما لا يزال ثم تلك الكلمات
الغيبية المترتبة ترتبا وصفيا ازليا مقدر بينها لانها وان لم يكن بينها
تعاقب محقق ازلا لما تبين من استحالته ولكن لما كان الكلام النفسي الازلي
منه ما يكون خطابا متوجها الى مخاطب مقدر في زمان مقدر كانت
الازمنة الثلاثة المقيسة الى احوال المخاطب المقدر مقدرة ازلا في
العلم فيكون بين تلك الكلمات في الازل تعاقب مقدر يتحقق فيما لا يزال
عند تلاوة التالي والقران كلام الله المنزل بهذا المعنى الثاني اي انها
الكلمات الغيبية المجردة عن المواد مطلقا المترتبة في علمه الازلي
ازلا هذا الترتيب المشهور بين دفتي المصحف الغير المتعاقبة
تحقيقا بل تقديرا نزلها الله هدى للناس معجزا متعبدا بتلاوته
فصار تعاقبها المقدر فيها ازلا تعاقبا محققا عند تلاوة الالسنة
الكونية الزمانية ومعنى تنزيلها اظهار صورها في المواد الروحانية
والخيالية والحسية من الالفاظ المسموعة والذهنية والمكتوبة
ومن هنا يقول الاشاعرة وغيرهم من اهل السنة القران كلام الله
غير مخلوق وهو مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا مقروء بالسنتنا
مسموع باذاننا غير حال في شيء منها وهو في جميع هذه المراتب قران
حقيقة شرعية معلوم من الدين ضرورة فقولهم غير حال في شيء منها
اشارة الى مرتبته النفسية الازلية التي هي الكلمات الغيبية المجردة
من هذه المواد فانها من الشؤون الذاتية ولم تفارق الذات ولا تفارقها
ابدا لان الشؤون الذاتية ازلية ابدية دائمة بدوام الذات ولكن

الله تعالى لما نزلها اي اظهر صورها في مادة الخيال والحس بالحفظ
واللفظ والكتابة صارت كلمات مخيلة في الذهن وملفوظة مسموعة
ومكتوبة مرئية فظهر في جميع تلك المظاهر من غير حلول في
شيء منها لانها لم تفارق الذات والحلول في شيء منها فرع الانفصال
ولبس فليس فالقران كلام الله غير مخلوق وان تنزل في هذه المراتب
الحادثة فانه لم يخرج عن كونه منسوبا الى الله تعالى بكون كلامه في
جميع تلك المراتب شرعا اما في مرتبة الخيال فقد مر ما فيه
كفاية من قوله صلى الله عليه وسلم اغنى الناس حملة القران من جعله
الله تعالى في جوفه وما بعده من الاحاديث التي سقناها ومنها
حديث سهل بن سعد الساعدي عند البخاري قال ماذا معك
من القران قال معي سورة كذا وكذا عددها قال تقراهن عن ظهر
قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القران ٥
قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فان التدبر
انما هو في الالفاظ المخيلة قوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح
محفوظ على قراءة الرفع صفة القران واما في مرتبة اللفظ فقوله
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وقوله تعالى
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وقوله تعالى انا سمعنا قرانا عجبا
وقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى امنا به وقوله تعالى واذا
قرئ القران الاية وقوله تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده
الاية وقوله صلى الله عليه وسلم الله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت
بالقران يجهر به من صاحب القينة الى قينته وقوله صلى الله عليه وسلم

ان افواهكم طرق القران فطيبوها بالسواك وقوله الجاهر بالقران
كالجاهر بالصدقة الحديث وقوله زينوا القران باصواتكم فان
الصوت الحسن يزيد القران حسنا قلت وفي الحديث تنبيه على ما مر
عن الامام احمد ان الصوت المسموع من القاري هو صوت القاري
فانه صلى الله عليه وسلم اضاف الاصوات الى ضمير المخاطبين فقال
زينوا القران باصواتكم وكذلك الحديث الاول اعني قوله الى رجل الحسن
الصوت وكذلك امثالها الاتية وغيرها فتنبه لها وعن محمد
ابن المنتشر قال قال عمر لرجل اقرايا فلان الحجر قال اوليس معك
يا امير المومنين قال بمثل صوتك فلا وعن علي قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يرفع الرجل صوته بالقراة قبل العتمة وبعدها
تغلط اصحابه في الصلاة وفي لفظ يغلط اصحابه والقوم يصلون
وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور وعن انس قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا قام من الليل يقترى زمزم في قرائته فقيل يا رسول
الله لا ترفع صوتك بالقراة قال اكره ان اوذيه فيقي واهل بيتي
الى غير ذلك من امثالها التي لا تحصى كثرة ههنا واما في مرتبة
الكتابة فقوله تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنت جالسا مع النبي صلى
الله عليه وسلم فقال انبوني با فضل اهل الايمان ايمانا الى ان قال
قالوا فمن يا رسول الله قال اقوام يصيدقوني ولم يروني يجدون الورق
المعلق فيعملون بما فيه فهولا افضل اهل الايمان وفي حديث
اخر الا ان اعجب الخلق الي ايمانا لقوم يكونون من بعدكم يجدون

صحفا فيها كتب يومنون بما فيه وفي حديث اخر ولكن اعجب الناس
ايمانا قوم يجيئون من بعدكم يجدون كتابا من الوحي فيومنون به
ويتبعونه فهولا اعجب الناس ايمانا وفي حديث اخر قوم ياتون من
بعدكم ياتيهم كتاب بين لوحين فيومنون به ويعملون بما فيه اوليك
اعظم منكم اجرا وعن ابي الاسود ان عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفا
قد كتبه بقلم رقيق فقال ما هذا فقال القران كله فكره ذلك
وضربه وقال عظموا كتاب الله وكان اذا راي مصحفا عظيما سره
وعن ابي هريرة انه قال لعثمان لما نسخ المصاحف اصبت ووفقت
اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اشد امتي حبا
لي قوم ياتون من بعدي يومنون بي ولم يروني يعملون بما في الورق
فقلت اي ورق حتى رايت المصاحف فاعجب ذلك عثمان وامر
لابي هريرة بعشرة الاف وقال والله ما علمت انك لتحبس علينا
حديث نبينا ومن حديث زيد بن ثابت فكانت الصحف التي جمع فيها
القران عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى
توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر وعن علي قال اعظم الناس في
المصاحف اجرا ابو بكر ان ابا بكر اول من جمع ما بين اللوحين وفي
لفظ اول من جمع كتاب الله الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة ومن هنا
قال البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه باب قول الله عز وجل
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم ولم يقل ماذا خلق ربكم وقال مسروق عن
ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات شيا فاذا فزع

عن قلوبهم ونادوا ماذا قال ربكم ولم يقل ماذا اخلق ربكم وقال
مسروق عن ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحي قالوا الحق ويذكر
عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن انيس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه
من قرب انا الملك انا الديان الحديث نبه اي البخاري بقوله
ولم يقل ماذا اخلق ربكم على ان الملايكة نسبوا الوحي المتكلم به الى الرب
سبحانه بعنوان القول حيث قالوا ماذا قال ربكم ولم ينسبوه
اليه بعنوان الخلق اي ماذا اخلق ربكم مع كون الصوت المسموع
محدثا وداثرا في الاول والاخر فهو دليل على ان الوحي المتكلم به قول
الله وكلامه لا مخلوقه وان كان حروفه عارضة لصوت
محسوس محدث وداثر فيه وذلك لان تلك الحروف والكلمات
من مراتب تنزلات الكلام النفسي المجرد عن المواد مطلقا الذي هو
كلامه القديم بلا واسطة ولما كانت تلك الكلمات والحروف
العارضة للصوت مظاهر تنزلات كلامه النفسي القديم
كان نسبتها اليه تعالى نسبة حقايقها بخلاف صور كلمات المخلوقين
وصور بقية الجواهر والاعراض فانها صور الحقايق الكونية
الخلقية فلا تنسب الى الله تعالى الا بكونها مخلوقات له تعالى
وان كانت حقايقها قديمة ثابتة في علم الله تعالى ايضا ومنه
يتضح معنى قول الامام احمد القران كيف تصرف غير مخلوق يعني
انه وان تنزل في المراتب الخيالية واللفظية والنفسية
الكتابية الحادثات لا يقال انه مخلوق كما يقال لبقية صور

الجواهر والاعراض من الكاينات لانها مراتب حقيقية صفة لا صور
حقايق مخلوقاته فلا تنسب اليه الا بنسبة اصله وحقيقته
فهو كلام الله في جميع المراتب غير مخلوق وان كان مراتب تنزلاته
حادثة وهذا عين الدليل على كون الامام احمد قايلا بالكلام النفسي
له كاللفظي والخيالي والخطي وذلك لانه لو لم يكن قايلا بالكلام
النفسي لله تعالى لم يتات له ان يقول القران كيف تصرف
غير مخلوق لان انتفا المخلوقية عنه مطلقا مع اعترافه
بحدوث اللفظي كما مر لا يتم الا اذا اثبت الكلام النفسي فيكون
جميع مراتبه التنزلات مظاهر للصفة الالهية الازلية
لا للحقايق الكونية واما اذا لم يثبت النفسي لم يكن صور
الحروف الا مظاهر الحقايق الكونية فيلزم ان يكون مخلوقا
عنده لكن التالي باطل بنصه فلم يكن حروفه مظاهر للحقايق
الكونية فيكون مظاهر لحقيقة الصفة الالهية القديمة
التي هي الكلام النفسي الذي هو الكلمات الغيبية المجردة عن
المواد المترتبة في علم الله ازلا بلا تعاقب كما مر ايضاحه فيكون
قايلا بالكلام النفسي بهذا المعنى وهو المطلوب فان قلت
ف لا نسلم ان الكلام النفسي ان لم يثبت لزم ان يكون صور الحرو
مظاهر للحقايق الكونية وانما يلزم ذلك لو لم يكن الامام احمد
قايلا بالكلام اللفظي لله سبحانه لكنه قايل به اي قايل بان حروف
كلمات الله تعالى عارضة لصوت قايم بالله على وجه يليق
بجلال ذات الله تعالى فانه ليس كمثله شي في ذاته وصفاته

كما نقله عنه اصحابه وكلما كان كذلك كان صور الحروف الذي ينطق
بها التالي مظاهر الحروف الذي يتكلم بها الحق وهي ليست من الحقايق الكونية
قلت هو كذلك ولكن اذا كان الامام احمد قايلا بالكلام اللفظي لزمه
ان يكون قايلا بالكلام النفسي البتة لان الحق سبحانه وتعالى لا يتكلم
الا بما تعلق به العلم قطعا واتفاقا ووجود الكلمات في العلم متقدم على وجودها
في اللفظ قطعا بالذات والرتبة فيكون الكلام اللفظي الالهي من صور
الكلام النفسي الالهي كما ان اللفظي الكوني عند التلاوة من صوره ايضا
وكلما كان كذلك فقد حصل المطلوب وبالله التوفيق والصاح
ذلك ان يقال ان علم الله محيط بكل شي ازلا بنص ان الله بكل شي عليم
وبالاتفاق ولا شك ان من الاشيا كلمات التورية والانجيل والزبور
وبقية الكتب الالهية وكلمات الله تعالى مع عبا ده فكلمات القران
ثابتة في علم الله ازلا على هذا الترتيب غيرانها كلمات غيبية
مجردة عن المادة مطلقا وهذا هو المراد بالكلام النفسي كما مر غير
مرة واذا قد ثبت ان الامام احمد قايل بان الله سبحانه وتعالى يتكلم
بصوت وحرف للدلايل الشرعية الدالة على ذلك لزمه ان يكون
قايلا بالكلام النفسي البتة بعين تلك الدلايل لان مرتبة كلمات
القران في كونها معلومة لله ازلا متقدمة على مرتبة كون الحق متكلما
بها الا بحرف وصوت تقدما ذاتيا رتبيا للقطع بان الله
انما يتكلم بالوحي على طبق ما في علمه تعالى لاستحالة الاخبار على
خلاف ما في علمه تعالى بالضرورة واستحالة الاخبار عما ليس في
علمه بالضرورة ايضا فلو لم يكن الامام احمد قايلا بالكلام النفسي

مع قوله بالكلام اللفظي لزمه هذان المحالان لكنه بري منهما على القطع
فهو قايل بالكلام النفسي فهو المطلوب وبالله التوفيق والله اعلم
ولبيت دار كان ما قررناه قول الامام احمد لم يزل الله متكلما كيف
شا واذا شا بلا كيف وذلك لان الاول اشارة الى كلامه تعالى في مرتبة
التجلي والتنزل الى مظهر له هذا الكلام كقوله صلى الله عليه وسلم اذا
قضى الله الامر في السما ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه
سلسلة على صفوان الحديث الصحيح والثاني اي تكلمه تعالى
بلا كيف اشارة الى مرتبة الكلام النفسي اذ الكيف من توابع مراتب
التنزلات والكلام النفسي في مرتبة الذات مجرد عن المادة
فارتفع الكيف بارتفاعها فحاصل المعنى لم يزل الله متكلما وموصوفا
بالكلام من حيث تجلى ومن حيث لا تجلى فمن حيث تجليه في مظهر له
كلام وكيف فكلامه كيف تبعا للمظهر فان الحكم له حكمه بالغة
واذا شا ان يكون متكلما بلا كيف لم يتكلم بكلام اقتضاه مظهر
التجلي فيكون متكلما بالكلام النفسي تكلما يليق كما كان ولم يزل
ويمكن ان يكون اشارة الى ما ذكر بعض المحققين من اكابر اهل الكشف
الصحيح في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب الاية اذ الوحي هنا هو الكلام الذي يلقيه الله الى قلب
النبي من غير واسطة فيسمعه في قلبه حرفيا لا تكييف سماعه
ولا يدري كيف جامع انه يعقله ويعيه وح فيفسر الحجاب في
الاية بالحجاب الوارد في حديث السبحات وهو قوله صلى الله عليه وسلم
حجابه النور وقد اشار صلى الله عليه وسلم في حديث السبحات ان التجلي

في هذا النور المانع من الاحراق لا يكون منفيا للعبد فهو التجلي في
النور الذي لا يذهب بالابصار فيصح اجتماع الرؤية وسماع الكلام
في هذا التجلي وليعلم الواقف ان تفسير الاية على هذا الوجه عكس
ما اختاره البيضاوي رحمه الله في تفسيره ننقد عليه حيث قال
في الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة وهو ما يعم المشافه به كما روي
في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق
لموسى عليه الصلاة والسلام في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء
حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها ٤٦
وقيل المراد الالهام والالقاء في الروع انتهى ولا يخفى انما اختاره
وان كان متضمنا لرد الزمخشري في كشافه حيث استدل بالاية
على امتناع الرؤية ورده هو الاهم له ولكن على هذا التفسير
لا يظهر وجه ما ثبت عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها من
الاحتجاج بها على نفي رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة
الاسرا وقد احتجت بها فيما اسنده البخاري عن مسروق قال قلت
لعائشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري
مما قلت اين انت من ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك
ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب وساق الحديث الى ان قالت ولكنه راى جبريل
في صورته مرتين انتهى فالذي فهمته عائشة رضي الله عنها من هذه
الاية غير هذا المعنى الذي فسرها به البيضاوي رحمه الله تعالى

بلا خفاء فان فسرت هذه الاية يعني يصح احتجاج عائشة بها كما قررنا
مع عدم منافاة للرؤية التي اثبتها ابن عباس كان غاية في الجمع بين
القولين والرد على منكري الرؤية مطلقا كالزمخشري ومن يحذو حذوه
فان قلت فباي وجه يمكن الجمع بين قولها بنفي الرؤية وبين قول
ابن عباس بالرؤية قلت بان يقال ان النفي منها والاثبات منه ولم
يتواردا على امر واحد فان ابن عباس ايضا قد نفى رؤية خاصة وجعله
تفسيرا لقوله تعالى لا تدركه الابصار فيحمل نفي عائشة على هذا الوجه
الخاص الذي نفاه ابن عباس ايضا فيكون ما اثبته ابن عباس لا ينافيه
الايتان المذكورتان اصلا وايضاح ذلك ان نقول قال
الحافظ في فتح الباري اخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة
عن ابن عباس قال راى محمد ربه قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار
قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد راى ربه مرتين
انتهى وفي الدر المنثور عزاه لجماعة غير الترمذي منهم الحاكم وصححه
عن ابن عباس قال راى محمد ربه قال عكرمة فقلت له اليس الله
يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال الامام ذاك نوره
الذي هو نوره اذا تجلى بنوره لا يدركه شيء وفي لفظ انما ذلك اذا
تجلى بكيفيته لم يقم له بصر انتهى فيجعل النفي في لا تدركه الابصار
مسلطا على ادراك هذا التجلي الخاص وهو لا ينافي الرؤية للتجلي
في النور الذي لا يذهب بالابصار كالنور المذكور في حديث الشيخان
المحمول على الحجاب حمل مواطاة فيكون حاصل معنى قول عائشة
رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى ربه في نوره الذي هو نوره.

عند اعظم على الله الفرية لقوله تعالى لا تدركه الابصار اي فى نوره
الذي يذهب بالابصار ولقوله ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي كلاما يلقيه فى قلبه من غير واسطة فيسمعه فى قلبه حديثا
لا يكيف سماعه ولا يدري كيف جا فلا يراه حينئذ او من وراء حجاب
هو نور التجلي الذي لا يذهب بالابصار المصحح لاجتماع السماع والروية
او يرسل رسولا الى اخره فاتضح وجه صحة الجمع احتجاج عايشة
بالايتين على نفي الروية على وجه لا ينافى قول ابن عباس رضى الله عنهما
وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين على انا نقول فى الايات
البينات للشيخ محمد بن يوسف الشامي الصالح تلميذ الحافظ
السيوطي ما نصه وروي احمد بسند صحيح عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ربي عز وجل انتهى نقول
ابن عباس مستنده الحديث المرفوع بخلاف قول عايشة رضى الله
عنها فانها لم تنف الروية المطلقة بحديث مرفوع دال على نفي الروية
المطلقة واما الحديث المرفوع الثابت فى مسلم من طريق داود بن
ابي هند عن الشعبي عن مسروق فالظاهر ان المراد نفي دلالة
ايتي النجم والتكوير على الروية اي ان المنفي هو رجوع الضمير فى راه
وراه الى الله تعالى لا الروية المطلقة فظهر انها انما اعتمدت
فى النفي الاستنباط من الايات وقد خالفها ابن عباس ومن
مستنده الحديث المرفوع الصحيح السابق النص فى الاثبات
فعلى فرض تحقق التنافى بين قوليهما يرجع الى قول ابن عباس
لكن لم تتحقق المنافاة لامكان الجمع بما قررناه والجمع مقدم

على الترجيح بالاتفاق وبالله التوفيق ومن هنا يظهر اندفاع
اعتراض الحافظ ابن حجر فى فتح الباري على النووي فى قوله ان عايشة
لم تنف الروية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخره
حيث قال وجزمه بان عايشة لم تنف الروية بحديث مرفوع تبع
فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها فى صحيح مسلم
وشرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن ابي هند الى اخره ثم
نقول وبهذا الجمع بين حديثي ابي ذر المذكورين فى صحيح
مسلم اعني قوله صلى الله عليه وسلم نور انى اراه وقوله صلى الله عليه وسلم
رايت نورا وذلك بان يحمل النور الاول على النور الذاهب بالابصار
الذي ذكره ابن عباس فى جواب عكرمة والثاني على الذي فى حديث
السبحات وبالله التوفيق ثم نقول هذا الكلام وان كان
من وجه خارج عن المقصود لكنه من وجه اخر متعلق به لان فيه
اثبات تجلي الحق فى حجاب النور المصحح لاجتماع الروية والكلام
فى حالة واحدة ولكون الحق سبحانه متكلما بكلام يليق وبكلام
لا يليق المذكورين فى نص الامام احمد وفيه ايضا البيان الذي
يستفاد منه الجمع بين قولي عايشة وابن عباس وبين حديثي ابي
ذر رضى الله عنهم اجمعين بما لا يوجد فى شروح الحديث فيما وقفنا
عليه والله اعلم ثم نرجع ونقول اذا كان الامام احمد قايلا
بان الله يتكلم كيف يشا وبلا كيف ونبين ان احد وجهي اية وما
كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية هو ان الوحي ان يلقي اليه
كلاما لا يتكيف سماعه فان كان بلا حرف ولا صوت فقد ثبت

المطلوب بمنطوق هذا النص وان كان بالحرف والصوت الذي لا يكيف
فقد ثبت المطلوب ايضا بالالتزام على الوجه الذي قررناه تقريرا
كاشفا للغطا عند كل منصف وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني اشتهر ان الحنابلة ينكرون الكلام النفسي وكثير منهم
تصدي للرد على القايل به ولكن كلام اكثر من تصدي لذلك او كلهم يتضمن
الاعتراف به من حيث لا يشعر كما يظهر من نقل كلام من تيسر نقله
وبعضهم ينكره في مكان ويقول بما يتضمن الاعتراف به في مكان اخر
وبعضهم يفسره بما ليس مفسرا به عند القايلين به كالمرداوي في التحرير
كتاب له في الاصول وقد قال في خطبته واقدم الصحيح من مذهب
الامام احمد رحمه الله واقوال الصحابة قال في باب الكتاب
ما نصه القران وهو كلام الله المنزل للاعجاز بسورة منه المتعبد
بتلاوته والاظهر قول منزل على محمد صلى الله عليه وسلم معجز متعبد
بتلاوته وقيل هو القابل للتنزيل الى ان قال والكلام عند الاشعرية
مشترك بين الحروف المسموعة والمعنى النفسي وهو نسبة بين مفردين
قايمة بالمتكلم اي هنا كلامه بلفظه ولم يقل الاشعرية انه نسبة
بين مفردين وانما فسروا قول الشيخ الاشعري انه المعنى القايم بالنفس
بمدلول اللفظ ثم اختلف ائمة الاصحاب في المدلول هل هو المعنى
المجرد او مجموع اللفظ النفسي والمعنى وسيجي تحقيقه وان الثاني هو النقل
الصحيح عن الاشعري فالكلام النفسي في جناب الحق سبحانه عنده هي الكلمات
ذهنية مخيلة مترتبة ترتيبا اذا انطلق بها كانت عين كلامه اللفظي ثم
قال المرداوي قال احمد واصحابه والبخاري وغيره لا اشتراك قال

الامام احمد لم يزل الله متكلما كيف شا واذا شا بلا كيف انتهى بلفظه
ولا يخفى ان كان مراده لا اشتراك بين اللفظي والنسبة فلا نزاع فيه
نحن فيكون نصبا للخلاف في غير محل النزاع وان كان مراده لا اشتراك
بين الحروف المسموعة والحروف المعلومة عندهم فهو في حيز المنع لما
مر تقريره وسيجي ايضا ثم قال باب الامر حقيقة في القول المخصوص
اتفاقا ونوع من الكلام وعند الاشعري واتباعه يطلق ايضا على الكلام
النفسي وهو المعنى القايم بالنفس الذي دل عليه اللفظ ثم قال ومذهب
الامام احمد واصحابه والاكثر الكلام الاصوات والحروف والمعنى
النفسي لا يسمى كلاما او يسمى مجازا وقال ابن ٢ القران كلام الله قبل تلاوته
علينا وهو في الصدر ولم يخرج الى الصوت والحرف انتهى الغرض منه
بلفظه وقد مر ما يتضمن رده في دعوى المجازية عند احمد بعد اطلاق
الكتاب والسنة الكلام على ذلك مع كون الاصل في الاطلاق الحقيقة
وكون مذهب الامام احمد التمسك بالكتاب والسنة كما مر
وسيزداد ذلك وضوحا ثم كلام ابن عقيل يتضمن القول بالكلام
النفسي في الحق والخلق كما يظهر بالتامل في كلامه كما ان من عرف القران
بانه القابل للتنزيل قايل بالكلام النفسي بل كل من عرف القران
بانه كلام الله المنزل يلزمه القول بالنفسي لان التنزيل اظهار صور
الحروف النفسية في مرتبة اللفظ والكتابة والخيال كما ان كل من
قال بالكلام اللفظي لله سبحانه يلزمه القول بالنفسي لان اللفظي صورته
وعلى طبقه تظهر كما مر وسيجي والحنابلة كلهم بنقله قايلون لهذين
الامرين فكلهم قايلون بالنفسي شاءوا ام ابوا وتضمن كلام كثير

منهم في كتب الفروع القول به بل في بعض كلامهم التصريح به فلننقل
بعض ذلك ليتضح انهم معترفون بالنفسي في المعنى وانما ينكرونه
باللفظ فالحمد لله على الوفاق في المعنى فنقول من ذلك قول
المدقق ابن قدامة في الكافي في باب الصوم ما نصه ويجب تعيين النية
لكل صوم واجب وهو ان يعتقد انه صايم غدا من رمضان او من
كفارته او نذره وعنه لا يجب تعيين النية لرمضان لانه يراد
للتمييز وزمن رمضان متعين له لا يحتمل سواه والاولى اصح لانه
صوم واجب فافتقر الى التعيين كالقضا فلو نوى ليلة الشك ان
كان غدا من رمضان فهو فرض والا فهو نفل او نوى نفلا واطلق
النية صح عند من لم يوجب التعيين لانه نوى الصوم ونيته
كافية ولا يصح عند من اوجبه لانه لم يجزم به والنية عزم جزم
وان نوى ان كان غدا من رمضان فانا صايم والا فلا لم يصح على
الروايتين لانه شك في النية لا في اصل الصوم انتهى بلفظه رحمه الله
ووجه الدلالة منه ان محل النية القلب كما صرح به في باب
النية من الصلاة ودل عليه كلامه هنا اعني قوله ان يعتقد انه
صايم الى اخره لان الاعتقاد فعل القلب اي يعزم عزما جازما
على انه صايم غدا من رمضان مثلا لقوله النية عزم جازم فالمعز وم
عليه المجزوم به هو قوله في النفس انه صايم غدا من رمضان
مثلا وهو المعني بالكلام النفسي لما مر انه في الانسان الكلمات
الذهنية المرتبة ترتيبا اذا نطق بها بصوت محسوس كان عين كلامه
اللفظي وقول الناوي انه صايم غدا من رمضان في نفسه كلام نفسي

بلا شبهة وكذلك قوله لو نوى ليلة الشك ان كان غدا من رمضان الخ
فان قوله ان كان غدا من رمضان فهو فرض والا فهو نفل اذا اخطره
بالبال عين الكلام النفسي بلا خلاف وانما الخلاف في الحكم المفرع
على الروايتين وكذلك قوله ان كان غدا من رمضان فانا صايم
والا فلا اذا اخطره بالبال فهو كلام نفسي وان لم يصح النية على
الروايتين هنا والموفق ممن تصدى لرد الكلام النفسي في كلام له
طويل وسيجي نقل ما يقاربه من كلام الطوفي ورده الذي هو رده
بل سيجي نقل بعضه ايضا ومن ذلك قول ابن النجار في منتهى الارادات
ومن خطر بقلبه ليلا انه صايم غدا فقد نوى انتهى فان قوله انه صايم
غدا كلام بلا خلاف فاذا اخطره بقلبه كان كلاما نفسيا وهو
واضح ومن ذلك قول الموفق ابن قدامه في الكافي في اداب الخلا ويكره
ان يتكلم على البول او يسلم او يذكر الله بلسانه انتهى ومفهومه
انه لا يكره ان يذكر الله بقلبه وهو كذلك ففي الفروع لابن مفلح
ويكره ان يتكلم ولو برد سلام نص عليه وان عطس حمد بقلبه
وعنه بلفظه وكذا اجابة المؤذن ذكره ابو الحسين وغيره
انتهى وفي الاقناع فان عطس او سمع اذانا حمد الله واجاب
بقلبه انتهى وفي شرح الشيخ منصور بن يونس البهوتي لمنتهى
الارادات وان عطس حمد الله بقلبه انتهى وكل هذه نصوص
في اثبات الكلام النفسي ومن ذلك قول ابن مفلح في الفروع في
باب صلاة المريض وان عجز اومى بطرفه ناويا مستحضر الفعل
والقول ان عجز عنه بقلبه كالاسير عاجز لخوفه قال احمد

لابد من شيء مع عقله وفي التبصرة صلى بقلبه او طرفه انتهى ومثله
قوله ابن النجار في منتهى الارادات في باب صلاة اهل الاعذار فان
عجز اي المريض عن ايما براسه اومي بطرفه ناويا مستحضرا بقلبه الفعل
عند ايمائه وناويا القول اذا اومي له ان عجز عنه اي القول
بقلبه متعلق بمستحضر كاسير خايف ان يعلموا بصلاته انتهى مع كلمات
من شرح الشيخ منصور وفي الاقناع مثل ذلك ولا يخفى ان القول
باستحضار اقوال الصلاة من الفاتحة وغيرها بقلبه عند عجزه
عنها بلسانه او خوفه عين القول بالكلام النفسي للانسان وعين
القول بان الفاتحة المستحضرة بالقلب قران حقيقة والا لزم
ان يكون المريض والخايف مامورا باتيان ما ليس بركن ومخاطبا
بايجاب ما ليس بواجب عليه واللازم باطل بلا خفا وكلما كان كذلك
لم يكن الكلام الحقيقي مختصا عندهم بالحرف والصوت فلم يصح قول
المرداوي السابق اعني قوله ومذهب الامام احمد واصحابه
الكلام الاصوات والحروف والمعنى النفسي لا يسمى كلاما او يسمى مجازا
انتهى وذلك لان الفاتحة المستحضرة هي الفاتحة المركبة من
الكلمات المتخيلة الذهنية وهي ليست حروفها عارضة
للصوت قطعا واتفاقا فلو لم تكن في الذهن فاتحة حقيقة شرعية
لزم من ايجابها المحذورات لكن اللازم باطل قطعا فالكلام
الحقيقي مشترك بين اللفظي والنفسي عند الامام احمد واصحابه
وهو المطلوب واذا صح هذا ابطل قول المرداوي السابق انفا
وبالله التوفيق ومن ذلك قول ابن النجار في منتهى الارادات

والحلف

والحلف بكلام الله تعالى والمصحف والقران او سورة منه يمين
قال الشيخ منصور لانه صفة من صفات الله تعالى فمن حلف به
او بشيء منه كان حالفا بصفته تعالى والمصحف يتضمن القران
الذي هو صفة لله تعالى ولذلك اطلق عليه القران في حديث
لا تسافروا بالقران الى ارض العدو وقالت عايشة ما بين دفتي المصحف
كلام الله انتهى ولا شك ان القران الذي تضمنه المصحف تصوير
اللفظ بحروف هجايه انتهى • ومن المقطوع به ان تلك النقوش في المصحف
ليست عارضة لصوت وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرانا في هذا الحديث وغيره والاصل في الاطلاق الحقيقة فهو قران
حقيقة شرعية كالحروف المتخيلة في القلوب وكلما كان كذلك لزم
ان يكون الكلام الحقيقي غير مختص بما حروفه عارضة للصوت
عندهم وهو المطلوب فظهر ان اصحاب احمد قايلون بالكلام النفسي
في المعنى وانما انكروه باللفظ لانحراف الفهم عن مراد القايل به الموافق
لمرادهم فالحمد لله على الوفاق في المعنى لا اله الا هو له الاسما الحسنى
وبالله التوفيق

الفصل الثالث

قال صلى الله عليه وسلم اذا
اردت امرا فعليك بالتودة حتى يريك الله منه المخرج ولقد اجاد
من قال رحمه الله تعالى

• من لم يشافه عالما باصوله • فيقينه في المشكلات ظنون •
• من انكر الاشيا دون تيقن • وتثبت فعناده مفتون •
• الكتب تذكرة لمن هو عالم • وصوابها بمحالها مشحون •
• والفكر غواص عليها مخرج • والحق فيها لؤلؤ مكنون •

اعلم انه اذا وقع التنازع بين المومنين في شي فالمرد الي الله ورسوله
قال الله تعالي يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شي فردوه الي الله والرسول
ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا
وذلك لقوله تعالي ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وقوله تعالي
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وهدي ورحمة وبشري
للمسلمين وقوله ومن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اني تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا
كتاب الله وسنتي اخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي
الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم اني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا
بعدهما ابدا كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض
اخرجه البزار في مسنده والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه واخرج
ابن المظفر وابن ابي الدنيا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه ونحن
في صلاة الغداة وقال اني تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتي
فاستنطقوا القران بسنتي فانه لن تعمي ابصاركم ولن تزل
اقدامكم ولن تقصر ايديكم ما اخذتم بهما الحديث وقد وقع التنازع
المتجاذب الاطراف بين المسلمين في هذه المسالة فيجب ان
نسمع خطاب الله لنا بقوله فردوه الي الله والرسول ونمتثل امره
بمقتضي ايماننا بالله واليوم الاخر فان الله سبحانه وتعالى يقول
ذلك خير واحسن تاويلا ومن اصدق من الله قيلا ثم نسمع خطاب

الله تعالي لنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اوليا
فان هدي الله هو الهدي وامرنا لنسلم لرب العالمين فنقول لبيك
اللهم لبيك وسعديك والخير كله في يديك سمعا وطاعة ثم اذا اهدانا
الله الي ما اختلف فيه من الحق الموافق للكتاب والسنة باذنه
اتبعناه سواء وافق ذلك ما عليه اصحابنا اولا ولا ننحرف عنهما لاجل
قول بعض اصحابنا بخلاف ذلك فان الله قد نهانا ان نتبع
من دونه اوليا وقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فاستمسك
بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقال لنا فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون فاذا امنا بالله ورسوله النبي الامي فيقتضي
ايماننا ان نتبعه بامر الله لنهتدي والله الهادي لا رب
غيره فنقول قد رددنا المتنازع فيه الي الله والرسول
بمراجعة كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراينا ان الكتاب والسنة دالان على ثبوت الكلام النفسي
لله تعالي كالكلام اللفظي وان القران كلام الله المنزل هدي
للناس المعجز المتعبد بتلاوته وانه محفوظ في الصدور ومقرو
بالالسنة مسموع بالاذان مكتوب في المصاحف غير حال
في شي منها مع كون كل منهما قرانا حقيقة شرعية معلوما من الدين
ضرورة فكل من كان في اعتقاده على هذا فهو ما كان عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لان الصحابة متبعون
له صلى الله عليه وسلم بمقتضي حديث افتراق الفرق اعني قوله

صلى الله عليه وسلم وتفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار
الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي
انتهى والنبي صلى الله عليه وسلم متمسك بالوحي كما مر والوحي قد
دل على ثبوت هذه المراتب كلها القران فهو الحق الذي من اتبعه
فقد هدي الى صراط مستقيم وقد مر اتفاق الائمة الاربعة
رسول بثبوت النقل عنهم باتباعهم الكتاب والسنة يوافقه
الاشعري لهم كذلك قال ابن عساكر في تبيين كذب المفتري
ما نصه ولسنا نرى الائمة الاربعة في اصول الدين مختلفين
بل نراهم في القول بتوحيد الله وتنزيهه في ذاته وصفاته
موتلفين والاشعري رحمه الله في الاصول على منهاجهم اجمعين
انتهى بلفظه رحمه الله وقد مر واذا تبين ان هذه المسئلة على الوجه
الذي قررناه هو المدلول عليه بالكتاب والسنة وهو الذي عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة اجمعون والسلف الصالح
والائمة الاربعة والاشعري اجمعون فنحن نتبعهم في ذلك ونترك
بقول كل من خالف ذلك سوا كان من اصحاب الاشعري او غيرهم
امتثالا لقوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من
دونه اوليا وقد تكلم على الاشعري جماعة بعضهم من اصحابه
في الاصول وبعضهم من غيرهم فلا باس بنقل ما تيسر من اعتراضاتهم
ودفعها عنه بيد العلم والانصاف باذن الله ولي التوفيق
والاسعاف فان ذلك داخل في اماطة الاذى عن الطريق فان
فان تلك الشبهات صارت قاطعة لطريق كثير من المسلمين مانعة

لهم عن الوصول الى الحق الصريح الذي جاء به الشرع الشريف المطهر كما
هو ظاهر لمن تتبع فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فنقول
وبالله التوفيق اعلم اولا ان امام الحرمين قال في الارشاد ان
مذهب اهل الحق ان الباري سبحانه وتعالى متكلم بكلام ازلي
لا مفتتح لوجوده انتهى وفي هذا دليل على ان اهل الحق قائلون
بان الله سبحانه له الكلام بمعنى المتكلم والكلام بمعنى المتكلم
وقال في الارشاد ايضا وذهب اهل الحق الى اثبات الكلام القائم
بالنفس وهو القول الذي يدور في الخلد وتدل عليه العبارات
تارة وما يصطلح عليه من الاشارات ونحوها اخرى انتهى والقول
بمعنى المقول لانه الذي يدور في الخلد كما يوضحه قوله في
الارشاد ايضا فان ردنا الى اطلاق اهل اللسان عرفنا قطعا
ان العرب تطلق كلام النفس والقول الداير في الخلد وتقول
كان في نفسي كلام وزورت في نفسي قولا واستشهادا لذلك يغني عن
الاستشهاد عليه بنثر لناثر وشعر لشاعر انتهى فان المزور
في النفس هو القول بمعنى المقول بلا خفا وقال في الارشاد ايضا
فذهب عبد الله بن سعيد من اصحابنا الى ان الكلام الازلي لا يتصف
بكونه امرا نهيا خبرا الا عند وجود المخاطبين واستجماعهم
شرايط المامورين المنهيين الى ان قال والصحيح ما ارتضاه
شيخنا يعني ابا الحسن الاشعري رحمه الله تعالى من ان الكلام الازلي
لم يزل متصفا بكونه امرا نهيا خبرا والمعدوم على اصله مامور
بالامر الازلي على تقدير الوجود والامر القديم في نفسه على صفة

الاقتضا ممن سيكون اذا كانوا انتهى والمقصود من هذا ثبوت
النقل عن الاشعري بانه قايل بان الله له كلام بمعنى المتكلم وله كلام
بمعنى المتكلم به وانه بالمعنى الثاني لم يزل متصفا بكونه امرا نهيا خبرا
فان هذه كلها اقسام الكلام بمعنى المتكلم به وان الكلام النفسي
بالمعنى الثاني حروفه غير عارضة للصوت في الحق والخلق غير
انها في جناب الحق كلمات غيبية مجردة عن المواد الحسية والخيالية
اذ كان الله ولم يكن شي غيره وهو بكل ما ذكر عليم على الدوام وفي
الانسان كلمات مخيلة ذهنية فهي كلمات في مادة خيالية لا مجردة
فكلمات الكلام النفسي في جناب الحق سبحانه كلمات حقيقية لكنها
الفاظ حكمية لا حقيقية ولا يلزم من كونها الفاظا حكمية
ان لا تكون كلمات حقيقية لما مر من عدم اشتراط اللفظ الحقيقي
في كون الكلمة كلمة حقيقية حيث اطلق سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه
الكلمة على جزء مقالته المخيلة كما مر من قوله ما ترك من كلمة اعجبتني
في تزويري الى اخره والاصل في الاطلاق الحقيقة فاجزا تلك
المقالة كلمات حقيقية لغوية مع انها ليست الفاظا حكمية
فالكلام النفسي كلام حقيقة لغوية وشرعية وقد مر ادلة ذلك
منها حديث ام سلمة المرفوع لا ينبغي ذلك الكلام الا لمومن وهو نص في محل
النزاع والاصل في الاطلاق الحقيقة ثم نقول اللفظ الحقيقي اي
الحروف العارضة للصوت لكونه صورة اللفظ النفسي الحكمي
دال على اللفظ النفسي واللفظ النفسي دال في النفس على معناه
بلا شبهة لا انفكاك بينهما اصلا فيصدق على اللفظ النفسي

بمعناه انه مدلول اللفظ الحقيقي ومعناه فتفسير المعنى النفسي
المشهور عن الشيخ الاشعري بمدلول اللفظ وحده كما نقله صاحب
المواقف عن جمهور الاصحاب لا ينافي تفسيره بمجموع اللفظ والمعنى
كما فسره صاحب المواقف نفسه وذلك بان يحمل اللفظ في قول صاحب
المواقف على اللفظ النفسي واللفظ في قول الجمهور على اللفظ الحقيقي
ولا شك حينئذ ان مجموع اللفظ النفسي ومعناه من حيث هو مجموع
يصدق عليه انه مدلول اللفظ وحده اي مدلول اللفظ الحقيقي
وحده لما مر ان اللفظ الحقيقي لكونه صورة اللفظ النفسي في مرتبة
تنزله دال عليه بلا شبهة والذي يدل على ان مراد جمهور الاصحاب
بمدلول اللفظ وحده مجموع اللفظ النفسي ومعناه ما مر نقله
عن امام الحرمين في ارشاده من قوله ذهب اهل الحق الى اثبات
الكلام القايم بالنفس وهو القول الذي يدور في الخلد وقد
مر بيان ان المراد بالقول هو المقول الذي هو اللفظ النفسي
وهو دال في النفس على معناه بلا انفكاك فيكون الكلام النفسي
عند اهل الحق ومنهم الشيخ الاشعري والاصحاب مجموع اللفظ النفسي
ومعناه غير ان عباراتهم بنقل امام الحرمين واضحة في المقصود
غير موهمة لخلافه وعباراتهم بنقل صاحب المواقف موهمة
لخلاف المقصود حتى صار سببا لانحراف كثير عن المقصود
وباعثا لاطالة نفسهم بالتشنيع عليهم وليس بضارهم شيا الا
باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون فان قلت قد اتضح
ان المراد باللفظ في قول جمهور الاصحاب ان المعنى النفسي

هو مدلول اللفظ وحده هو اللفظ الحقيقي وان المراد بمدلول اللفظ
وحده في كلامهم هو مجموع اللفظ النفسي ومعناه ولكن لا يبعد من قول
صاحب المواقف ان المراد باللفظ في قوله مجموع اللفظ والمعنى هو اللفظ
النفسي بل الظاهر من السياق انه اراد اللفظ الحقيقي وحينئذ
فيشكل الحكم بكون المجموع قديما ولهذا اعترضوا عليه من وجوه قلت
قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه عنه سعيد
ابن المسيب ضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك
ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وانت تجد لها في
الخير محملا انتهى وحيث ان محصول كلامه الذي نقله السيد قدس سره
في شرح المواقف محتمل للتاويل وتطبيقه على قول جمهور الاصحاب
بنقل امام الحرمين لم يجيئنا منه ما يغلبنا اذ لا يكون ذلك الا اذا
لم يحتمل التاويل فلنضع امره على احسنه عملا بقول سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه المثنى عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله جعل الحق
على لسان عمر وقلبه فلننقل ما نقله السيد عنه في شرح المواقف
فنقول قال صاحب المواقف القاضي عضد الدين عبد الرحمن
ابن احمد الشيرازي الايجي في اثناء خطبة المواقف كتابا كريما وقرانا
قديما ذا غايات ومواقف محفوظا في القلوب مقروا بالالسن
مكتوبا في المصاحف الى اخره قال السيد قدس سره في شرحه
وصف القران بالقدم ثم صرح بما يدل على ان هذه العبارات المنظومة
كما هو مذهب السلف حيث قالوا ان الحفظ والقراءة والكتابة حادثة

لكن متعلقها اعني المحفوظ المقرو والمكتوب قديم وما يتوهم من ان
ترتيب الكلمات والحروف وعروض الانتهاء والوقوف مما يدل على
الحدوث فباطل لان ذلك لقصور في الات القران وما اشتهر
عن الشيخ ابي الحسن الاشعري من ان القديم معنى قايم بذاته تعالى قد
عبر عنها بهذه العبارات الحادثة فقد قيل انه غلط من الناقل
منشاه اشتراك لفظة المعنى بين ما يقابل اللفظ وبين ما يقوم
بغيره وسيزداد ذلك وضوحا فيما بعد ان شاء الله تعالى ثم
قال السيد في الالهيات واعلم ان للسيد مقالة مفردة في تحقيق
كلام الله تعالى على وفق ما اشار اليه في خطبة الكتاب ومحصولها
ان لفظ المعنى يطلق تارة على مدلول اللفظ واخرى على الامر
القايم بالغير فالشيخ الاشعري لما قال الكلام هو المعنى النفسي
فهم الاصحاب منه ان مراده مدلول اللفظ وحده وهو القديم
عنده واما العبارات فانما تسمى كلاما مجازا لدلالتها على ما هو كلام
حقيقي حتى صرحوا بان الالفاظ حادثة على مذهبه ايضا لكنها
ليست كلامه حقيقة وهذا الذي فهموه من كلام الشيخ له
لوازم كثيرة فاسدة كعدم اكفار من انكر كلامية ما بين دفتي
المصحف مع انه علم من الدين ضرورة كونه كلام الله حقيقة
وكعدم المعارضة والتحدي بكلام الله الحقيقي وكعدم كون المقرو
المحفوظ كلامه حقيقة الى غير ذلك مما لا يخفى على المتفطن في
الاحكام الدينية فوجب حمل كلام الشيخ على انه اراد به المعنى
الثاني فيكون الكلام النفسي عنده امرا شاملا للفظ والمعنى

جميعا قايما بذات الله تعالى وهو مكتوب في المصاحف مقرو بالالسن
محفوظ في الصدور وهو غير الكتابة والقراة والحفظ الحادثة
وما يقال من ان الحروف والالفاظ مترتبة متعاقبة فجوابه ان ذلك
الترتب انما هو في التلفظ بسبب عدم مساعدة الالة فالتلفظ
حادث وكل الادلة الدالة على الحدوث يجب حملها على حدوثه دون حدوث
الملفوظ جمعا بين الادلة وهذا الذي ذكرناه وان كان مخالفا
لما عليه متاخروا اصحابنا الا انه بعد التامل يعرف حقيقته تم
كلامه وهذا المحمل لكلام الشيخ مما اختاره محمد الشهرستاني في كتابه
المسمى بنهاية الاقدام ولا شبهة انه اقرب الى الاحكام الظاهرية
المنسوبة الى قواعد الملة انتهى كلامه قدس سره ولقد وقفت على تلك
المقالة المفردة لصاحب المواقف فانتقل محل الشاهد منها
بلفظه فانه اقرب الى التاويل بل كالنص في المقصود كما سينكشف
ان شاء الله تعالى فنقول قال رحمه الله تعالى بعد نحو ثمانية
اسطر من مفتتح المقالة والمعنى يطلق على معنيين على المعنى الذي
هو مدلول اللفظ وعلى المعنى الذي هو القايم بالغير الى ان قال
بعد نحو اربعة اسطر بل نقول المراد به الكلام النفسي بمعنى المعنى
الثاني شاملا للفظ والمعنى قايما بذات الله تعالى وهو مكتوب
في المصاحف مقرو في الالسنة محفوظ في الصدور وهو غير القراة
والكتابة والحفظ الحادثة كما هو المشهور من ان القراة غير المقرو
وقولكم انه مرتب الاجزا قلنا لا نسلم بل المعنى الذي في النفس لا ترتب
فيه ولا تقدم فيه ولا تاخر كما هو قايم بنفس الحافظ ولا ترتب فيه

ثم الترتب انما يحصل في التلفظ لضرورة عدم مساعدة الالة وهو الذي
هو حادث ويحمل الادلة التي تدل على الحدوث على حدوثه جمعا بين
الادلة انتهى ما اريد نقله بلفظه رحمه الله فاقول اولا لا اشك
ان ما اشتهر عن الشيخ الاشعري من ان القديم معنى قايم بذاته تعالى
انما يريد به انه ليس لفظا حقيقيا اي حروفا عارضة للصوت
لانه جعله مقابلا للفظ الحقيقي حيث يقول فيما اشتهر عنه ما
حاصله ان القديم هو المعنى القايم بالنفس يعبر عنه بهذه العبا رات
لا العبارات ولكنه ليس فيه ما يقتضي انه انما اراد به المعنى
المجرد عن اللفظ مطلقا حقيقيا كان او حكميا نفسيا بل كلام امام
الحرمين في الارشاد صريح في ان الكلام النفسي عند اهل الحق الذين منهم
الشيخ واصحابه هو القول الذي يدور في الخلد اي القول بمعنى
المقول الدال على معناه في النفس فالكلام النفسي عند الشيخ مجموع
اللفظ النفسي والمعنى لا مجرد المعنى عن اللفظ مطلقا ولا شك ان
امام الحرمين من اكابر اصحاب الاشعري من الطبقة الرابعة وممن له
اليد الباسطة في علمي الكلام والاصول وسعة الاطلاع على مقالات
اهلهما فنقله معتمد اي معتمد وحينئذ فيمكن حمل اللفظ في كلام
صاحب المواقف ان الكلام النفسي شامل للفظ والمعنى على اللفظ
النفسي اما اولا فليوافق المنقول عن الاشعري في الارشاد السالم
عن الفساد فانه اي صاحب المواقف انما يريد تفسير مراد
الاشعري لا احداث قول لنفسه في الكلام فحمله على ما ثبت نقله
عنه من مراده هو الوجه مهما امكن واما ثانيا فلقوله المعنى

الذي في النفس لا ترتب فيه ولا تقدم ولا تاخر كما هو قايم بنفس
الحافظ ولا ترتب فيه الي اخره فان تشبيه المعنى الذي في النفس
بما هو قايم بنفس الحافظ ظاهر في ان المراد به اللفظ النفسي ان لم يكن
نصا فيه لوضوح ان القايم بنفس الحافظ هي الالفاظ النفسية
والكلمات الذهنية المخيلة التي ليست حروفها عارضة للصوت
بلا شبهة وان كان التشبيه ليس وافيا بالمقصود من كل وجه
كما لا يخفى عند الالتفات واذا سمعت هذا فنقول قد مر ان
الكلام النفسي لا منافاة بين كون كلماته مترتبة يتقدم بعضها
على بعض في الوضع الغيبي العلمي الازلي وبين كونها لا تعاقب
بينها محققا اذ لا اي لا يتوقف وجود بعض تلك الكلمات
على انقضا بعضها فلا يتوقف وجود المتاخر منها على انقضاء
المتقدم وذلك لانها موجودة ازلا بوجود الذات وجودا مترتبا
في علم الله الازلي وكلما كان كذلك فلا تعاقب محققا بين وجود
كلماتها مع تحقق التقدم والتاخر بينها وضعا ولكن التعاقب
بينها مقدر اي انها اذا نزلت الي الالسنة الكونية لا توجد
الا متعاقبة لا دفعة كما قال نعم الترتب انما يحصل في التلفظ
اي التعاقب بين اجزاء النفسي ووجود بعضها بعد انقضا بعضها
انما يحصل ويعرض لها في التلفظ الحقيقي الحاصل بالتلفظ الكوني
الذي هو حادث لا اللفظ النفسي القايم بذات الحق ونحمل الادلة
التي تدل على الحدوث اي حدوث لفظ القران على حدوثه اي
على حدوث اللفظ الحقيقي الحاصل بالتلفظ الكوني جمعا بين الادلة

وبالله التوفيق فكلام صاحب المواقف على هذا التقرير الذي
لا يا باه كلامه بل يحتمله عند الانصاف كلام صحيح لا غبار عليه
والله اعلم واذا تحققت هذا التطبيق بين كلام الاصحاب
وصاحب المواقف في تفسير كلام الشيخ الاشعري رحمهم الله تعالى
اجمعين فاستمع لما اورده عليه الاستاذ المحقق جلال الدين
محمد بن اسعد الدواني الصديقي رحمه الله من الاعتراضات
نقلا عن بعضهم واقرها حتى يا تيك دفعها بعد ذلك باذن الله
ولي التوفيق فنقول قال الاستاذ جلال الدين محمد الدواني
في شرحه للعقايد العضدية بعد نقله كلام صاحب المواقف
هذا ملخصا ما نصه وبعضهم انكره اما اولا فلان مذهب الشيخ
ان كلامه تعالى واحد وليس بامر ولا نهي ولا خبر وانما يصير احد
هذه الامور بحسب تعلق وهذه الاوصاف لا تنطبق على الكلام
اللفظي وانما يصح تطبيقه على المعنى المقابل للفظ بضرب من التكلف
واما ثانيا فلان كون الحروف والالفاظ قايمة بذاته تعالى من
غير ترتب بعض الى كون الاصوات مع كونها اعراضا سيالة موجودة
بوجود لا تكون فيه سيالة وهو سفسطة من قبيل ان يقال الحركة
توجد في بعض الموضوعات من غير ترتب وتعاقب بين اجزايها
واما ثالثا فلانه يودي الي ان يكون الفرق بين ما يقوم بالقاري
من الالفاظ وما يقوم بذاته تعالى باجتماع الاجزا وعدم
اجتماعها بسبب قصور الالة فنقول هذا الفرق ان
اوجب اختلاف الحقيقة فلا يكون القايم بذاته من جنس الالفاظ

وانه لم يوجب وكان يقوم بالقارئ وما يقوم بذاته تعالى حقيقة
واحدة والتفاوت بينهما انما يكون باجتماعه وعدمه اللذين
هما عارضان من عوارض الحقيقة الواحدة كان بعض صفاته الحقيقية
مجانسا لصفات المخلوقات واما رابعا فلان لزوم ما ذكره من
المفاسد وهم فان تكفير من انكر كون ما بين الدفتين كلام الله
تعالى انما هو اذا اعتقد انه من مخترعات البشر اما اذا اعتقد
انه ليس كلام الله بمعنى انه ليس بالحقيقة صفة قائمة بذاته
لا يجوز تكفيره اصلا كيف وهو مذهب اكثر الاشاعرة ما خلا
المصنف وموافقيه وما علم من الدين هو كون ما بين الدفتين
كلام الله حقيقة انما هو بمعنى كونه دالا على ما هو كلام الله حقيقة
لا على انه صفة قائمة بذاته وكيف يدعى انه من ضروريات الدين
مع انه خلاف ما نقله عن الاصحاب وكيف يزعم ان هذا الجم الغفير
من الاشاعرة انكروا ما هو من ضروريات الدين حتى يلزم تكفيرهم
حاشاهم عن ذلك واما خامسا فلان الادلة الدالة على النسخ
لا يمكن حملها على التلفظ بل ترجع الى الملفوظ كيف وبعضها مما لا يتعلق
النسخ بالتلفظ به كما نسخ حكمه وبقي تلاوته انتهى قلت
وبالله التوفيق اما الاول فجوابه ان الحق سبحانه وتعالى له
كلام بمعنى التكلم وله كلام بمعنى المتكلم به عند الشيخ وبقية اهل
الحق كما مر بنقل امام الحرمين عنهم والمنعوت بانه امر واحد ليس
بامر ولا نهي ولا خبر هو المعنى الاول اذ قد مر انه صفة واحدة
تتعدد تعلقاتها بحسب تعدد المتكلم به من كتب الله وكلماته

وانها ليست من جنس الحروف والالفاظ اصلا لا الحقيقية ولا
الحكمية ولا شك ان هذه الاوصاف المذكورة في الاعتراض الاول
كلها تنطبق عليه بلا تكلف والدليل على ان المنعوت بهذه الاوصاف
عند الشيخ هو المعنى الاول ما مر عند نقل امام الحرمين ان الكلام
الازلي لم يزل متصفا بكونه امرا نهيا خبرا الى اخره ولا شك ان
هذه اقسام المتكلم به الذي هو المعنى الثاني وكلما كان قائلا
بانقسام القسم الثاني الى هذه الاقسام كان المنعوت بالوحدة
بالذات والتعدد بالتعلقات هو المعنى الاول عنده وجمعا بين كلاميه
وهذا جمع صحيح واضح واما الثاني فجوابه ان ذلك انما يلزم اذا
اريد من اللفظ اللفظ الحقيقي واما اذا اريد اللفظ النفسي الحكمي
فلا ورود له لان الالفاظ النفسية كلها مجتمعة الاجزاء في الوجود
العلمي مع كونها مترتبة لما مر انه لا تنافي بين انتفاء التعاقب عنها
ووجود الترتب لها بل قد اعترف الاستاذ الجلال الدواني بان الكلمات
لا تعاقب بينها في الوجود العلمي حتى يلزم حدوثها وانما التعاقب
بينها في الوجود الخارجي هذا كلامه بلفظه رحمه الله وقد مر
ان كلام صاحب المواقف محتمل للتاويل قابل لان يراد باللفظ فيه
اللفظ النفسي الحكمي الذي لا تعاقب بين كلماته فليحمل عليه سعيا في
الاصلاح مهما امكن عملا بوصية سيدنا عمر رضي الله عنه السابقة
واما الثالث فجوابه ان هذا الايراد مبني على ظن ان المراد باللفظ
اللفظ الحقيقي وقد مر انه يحتمل ان يكون مراده اللفظ النفسي بل
هو ظاهر تشبيهه بالقائم بنفس الحافظ ان لم يكن نصا فيه كما مر

وحينئذ فيسقط الاعتراض اصله واما الرابع فجوابه ان الكلام
النفسي عند الشيخ والاصحاب وبقية اهل الحق كما مر نقل امام
الحرمين هو مجموع اللفظ النفسي والمعنى ولكن ظاهر كلام صاحب
المواقف يدل على انه فهم من ظاهر كلام بعض الاصحاب ان مرادهم
بالمعنى هو المعنى المقابل للفظ مجردا عن اللفظ مطلقا حقيقيا
كان او حكميا وقد سمعهم يقولون ان الكلام اللفظي ليس كلامه
تعالى حقيقة بل مجازا فاذا انضم قولهم بنفي كونه كلاما حقيقة
اي شرعية الى قولهم في ظنه ان النفسي هو المعنى المقابل للفظ
مجردا لزم من هذا انما هو في معنى القول بكون اللفظي من مخترعات
البشر ولا يخفى استلزامه للمفاسد المذكورة ولكن لم يريدوه
بالمجاز المجاز الشرعي فان اطلاق كلام الله على اللفظي المسموع
عادة منصوص عليه متواتر معلوم من الدين ضرورة فلا ينافي
نفيه هنا العوام فضلا عن العلماء واصحاب النظر ولكن المراد ان
الكلام انما يتبادر منه ما هو وصف للمتكلم قايم به قياما
يقتضيه حقيقة الكلام وذات المتكلم في الحق والخلق على الوجه
اللايق بكل منهما واما ما يتلوه التالي من كلام الله تعالى فهي حروف
عارضة لصوته الحادث فلا شك انها حينئذ ليست قايمة
بذات المتكلم الحق سبحانه من حيث هو هو ولكنها صورة من صور
كلامه القايم به تعالى ومظهر من مظاهره لانه فهي دالة على
الكلام الحقيقي القايم به تعالى بلا شبهة تسمى كلاما حقيقة
شرعية في نحو قوله تعالى فاجره حتى يسمع كلام الله لذلك فهو

اطلاق

اطلاق لاسم الحقيقة على الصورة فيكون مجازا من هذا الوجه وان
صار حقيقة شرعية يقتضي حكمة هذه المناسبة وهذا التحقيق
ما قاله التفتازاني من انما وقع في عبارات بعض المشايخ من انه
مجاز فليس معناه انه غير موضوع للنظم المؤلف بل معناه ان
الكلام في التحقيق وبالذات اسم للمعنى القايم بالنفس وتسميته
اللفظ به ووضعه لذلك انما هو باعتبار دلالته على المعنى فلا نزاع
لهم في الوضع والتسمية انتهى وكلما كان كذلك لم يلزم شيء من المفاسد
المذكورة اصلا كما لا يخفى فان قلت اذا اعتقد الاصحاب
ان النفسي هو المعنى المجرد وارادوا بنفي كون ما بين الدفتين
كلامه حقيقة انه ليس قايما بذات الله تعالى مع كونه يطلق عليه
كلام الله حقيقة شرعية لكونه دالا على ما هو كلام الله حقيقة
اي القايم بذات الحق سبحانه وقالوا ان الالفاظ الحقيقية من
مبدعات الله ودالة على ما هو كلامه القايم بذاته فهل يلزمهم
القول بانه من مخترعات البشر المستلزم للمفاسد المذكورة قلت
لا ولكنه يلزمهم القول بان الكلام النفسي مجموع اللفظ النفسي
والمعنى المجرد لان الله لا يبدعها على هذا الترتيب الا لكونها هكذا
في علمه الازلي وكلما كانت موجودة في علم الله الازلي على هذا الترتيب
كان الكلام النفسي مجموع اللفظ النفسي والمعنى لا المعنى المجرد لانا
لا نعني بالكلام النفسي بمعنى المتكلم به الا الكلمات الغيبية المترتبة
في علم الله ازلا بلا واسطة ثم كون الكلام النفسي مجموع اللفظ النفسي
والمعنى كما لزمهم على هذا التقدير هو المراد لهم وللشيخ وساير

اهل الحق كما نقله عن امام الحرمين عنهم وحينئذ فاعتراض صاحب المواقف
انما يرد على الاصحاب بناء على ما ظنه من كلامهم في تفسير مراد الشيخ لا على
ما هو المراد لهم حقيقة بنقل امام الحرمين فانه هو المراد لصاحب المواقف
ايضا كما قررناه وبالله التوفيق **واما** الخامس فجوابه ان كلام صاحب
المواقف ليس نصا في ان الضمير راجع الى التلفظ بل يحتمل ان يكون
راجعا الى الملفوظ وذلك انه قال المعنى الذي في النفس لا ترتب
فيه كما هو قايم بنفس الحافظ ولا ترتب فيه وقد مر ان المراد به مجموع
اللفظ النفسي والمعنى كما هو ظاهر تشبيهه بالقايم بنفس الحافظ ولا
شك انه لا ترتب فيه اي لا تعاقب فيه في وجوده العلمي كما مر وحينئذ
فقوله نعم الترتب انما يحصل في التلفظ معناه ان الترتب في
المعنى النفسي الذي هو مجموع اللفظ النفسي والمعنى انما يحصل لها في
التلفظ الخارجي لضرورة عدم مساعدة الالة فقوله وهو الذي
هو حادث اي الملفوظ بالتلفظ الخارجي الذي هو صورة اللفظ
النفسي هو الذي هو حادث لا اللفظ النفسي وتحمل الادلة التي
تدل على الحدوث على حدوثه اي الملفوظ بالتلفظ الخارجي وعلى
هذا فلا ورود للاعتراض اصلا وقد تم بيان الاعتراضات
التي نقلها الجلال الدواني رحمه الله تعالى عن بعضهم كلها
والحمد لله على نعمه كلها دقها وجلها **ومنهم** من قال ويرد على صاحب
المواقف اشكال وهو انهم اشترطوا في المعجزة ان يكون فعل الله
تعالى او ما يقوم مقامه كالتروك فلا يكون القران اللفظي
الذي هو معجزة ومتحدى به قديما صفة له تعالى انتهى **قلت**

لا يخفى ان المعجزة المتحدى بها هو القران في مرتبة تنزله الى الالفاظ
الحقيقية العربية وقد قال تعالى انا جعلناه قرانا عربيا وانا
انزلناه قرانا عربيا فكونه لفظا حقيقيا عربيا مجعولا منزلا بالفعل
فيكون معجزة بلا شبهة ولا اختلال شرط والقايل بقدمه صاحب
المواقف على ما حقق كلامه هو القران اللفظي النفسي الذي هو مجموع
اللفظ النفسي والمعنى وهو قديم قايم بذاته تعالى بلا شبهة عند
من تحقق ما سبق تقريره وهذا واضح لمن اتقن الكتب باذن الله
الفصل الرابع واذا سمعت ما تقرر وانت شهيد فاستمع
الان نقل اعتراضات على الاشعري من الاشاعرة وغيرهم ليتضح
لك صدق مقالة من قال وكم من عائب قولا صحيحا وافته من
الفهم السقيم وقد سبق عن التاج السبكي ان من المتحرفين عن مذهب
الاشعري من لم يدر مذهب الاشعري فرده بناء على ما ظن فيه ظنة
فنقول من المعترضين على الاشعري من الاشاعرة تلميذ الجلال
الدواني وهو الشريف السني عفيف الدين عبد الرحمن بن عبيد الله
ابن نور الدين الحسيني الايجي في رسالته نقد الدرر فقال واما
رد الاشاعرة الذين يظنون انهم تابعون للسنة وقد اهملوها في
هذا المبحث الذي هو من المطالب العالية في الاديان فلا تخلو من
من يلومهم باظهار ما في ادلتهم من البطلان والله المستعان وعليه
التكلان **ثم قال** ما حاصله ان هذا الذي يدعونه من ان الكلام
معنى اخر يسمى بالنفسي باطل فانا اذا قلنا زيد قايم فهناك
اربعة اشيا الاول العبارة الصادرة عنه الثاني مدلول

هذه العبارة وما وضع له هذه الالفاظ من المعاني المقصودة
بها الثالث علمه بثبوت تلك النسبة وانتفايها بين طرفي الخبر
الرابع ثبوت تلك النسبة وانتفايها في الواقع والاخيران ليسا
كلاما اتفاقا والاول لا يمكن ان يكون كلام الله حقيقة على مذهبهم
فبقي الثاني وكذا نقول في الامر والنهي ههنا ثلاثة اشيا الاول
الارادة والكراهة الحقيقية الثاني اللفظ الصادر عنه الثالث
مفهوم لفظه ومعناه وما وضع الواضع لاجله والاول ليس كلاما
اتفاقا والثاني ليس كلاما على مذهبهم فبقي الثالث الى ان قال
وصرح كثير من المحققين ان ما ذكروه ليس الا مدلول اللفظ فنقول
هذا الكلام النفسي الذي يثبتونه لله ويحكمون عليه باحكام
مختلفة باطلة بوجوه الاول انه يخالف العرف واللغة فان
الكلام فيها ليس الا المركب من الحروف ولا ينكر ذلك العارف بهما
الثاني انه لا يوافقه الشرع اذ قد ورد في محال متعددة ان الله
ينادي عباده وذكر في القران الندا في تسعة مواضع ولا ريب
ان الندا لا يكون الا بصوت وقد ورد في الحديث الصحيح التصريح
بالصوت توكيدا وتوضيحا ثم ساق حديث البخاري عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله يا ادم
فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان
تخرج من ذريتك بعثا الى النار **ووري** النسائي في التفسير
مرفوعا وابن ماجة والترمذي ان قوله تعالى كانه سلسلة على
صفوان **ووري** الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

اذا

اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السما صلصلة كجر السلسلة على الصفا
فيصعقون ثم ساق حديث احمد ثم يناديهم بصوت رفيع غير
فظيع يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الديان لا تظالموا
اليوم الحديث وساق احاديث اخر وقال في اخرها وكل ذلك
صريح في انه متكلم بالكلام المقرون بالصوت المشتمل على الحروف
وانى هذا من الكلام النفسي القايم بالذات ليس معه صوت
ولا حرف **قال** فان قلت باب المجاز والتاويل لم يغلق بعد
وما لم يمكن حمله على الكلام النفسي فهو مجاز ومحمول على خلاف
معناه **قلت** لا يمكن ان يقال ان هذه الصرايح التي يزيد عددها
على مائة الف غير مرادة حقيقة ومحمولة على خلاف معناها فان
ذلك مما لا يقبله العقل السليم الى ان قال ثم ان العجب من هذا
الشيخ انه لما وصل الى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى
وجه ربك يد الله فوق ايديهم وتجري باعيننا وما فرطت في جنب
الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلب المومن بين
اصابع الرحمن ويضع الجبار قدمه في النار وينزل الى السما
الدنيا ووضع كفه بين كتفي قال الاستوا والوجه واليد والعين
والجنب والاصبع والقدم والنزول والكف ثابتة لله تعالى
على نوع لا يشعر به نقص وحدوث والايمان به واجب والكيفية
مجهولة والسوال عنه بدعة ولم يجعله مجازا ولم ياوله وكذا
الروية فما باله لما وصل الى هذا المطلوب الذي ترتب عليه الايمان
نفي مطلقا واوله كلام نفسي وحمل هذه النصوص الصريحة مع كثرتها

على المجاز والكناية **الثالث** ان ما قاله من كون هذا المعنى
النفسي واحدا يخالف العقل فانه لا شك من ذي تامل ان مدلول
اللفظ في الامر يخالف مدلول اللفظ في النهي ومدلول اللفظ في الخبر
يخالف مدلول اللفظ في الانشا بل نقول مدلول امر مخصوص
غير مدلول امر اخر ومدلول خبر مخصوص غير مدلول خبر اخر
ولا يرتاب عاقل ان مدلول اللفظ لا يمكن ان يكون عين القران
وسائر الكتب السماوية فيلزم ان يكون كل واحد مشتملا على
ما يشتمل الاخر وليس كذلك وكيف يكون معنى واحد خبرا
وانشا فيلزم ان يكون معنى واحد مما يتطرق اليه التصديق
والتكذيب ومما لا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات هذا اذا
اريد بالمعنى النفسي مدلول اللفظ على ما يفهم من كلامهم الى هنا
كلام الشريف العفيف الايجي الشافعي الاشعري ملخصا واكثره
بلفظه فاستمع الان لبيان ما فيه فنقول وبالله التوفيق
قوله الاشاعرة الذين يظنون انهم تابعون للسنة قلنا
انه كذلك ان شاء الله تعالى فان عقايدهم مؤيدة بالكتاب
والسنة عند التحقيق ولا عبرة بمن اعترض عليهم ممن لم يفهم مقاصدهم
ولا وقف على ماخذ مطالبهم فانه انما يعترض على الاشعري
مخيل احدث في خياله فنسب اليه قولا باطلا فاخذ يرد
عليه بناء على ظنه فلا يصل الى الاشعري المحسوس واتباعه من
ذلك شي **قوله** وقد اهملوها في هذا المبحث قلنا انما اهملوها
في ظنه لا في الواقع كما لا يخفى على من احاط بما اسلفنا في تقرير

مذهبهم

مذهبهم **قوله** فلا نلوم من يلومهم الى اخره قلنا لا نلوم من يلوم
المنحرفين عن السنة باظهار بطلان شبههم بل نثني عليه بانه
اظهر الحق وابطل الباطل ولكن حتى يثبت انحرافهم عن السنة
ولم يثبت الا في ظنه وظن امثاله الذين فهموا كلامهم على غير
وجهه المراد لهم فان جميع اعتراضاته مبنية على فهمه ان مرادهم
بالمعنى النفسي هو مدلول اللفظ وحده اي المعنى المجرد عن
مقارنة اللفظ مطلقا ولو حكميا كما فهمه صاحب المواقف
ايضا وقد مر انه ليس كذلك حيث نقلنا عن امام الحرمين
ان الكلام النفسي هو القول الذي يدور في الخلد وتدل عليه
العبارات الى اخره عند اهل الحق الذين منهم الشيخ واصحابه
وقد مر بيانا ان المراد بالقول هو المقول ومر ما نقل عن الشيخ
الاشعري نفسه ان الكلام الازلي لم يزل متصفا بكونه امرا
نهيا خبرا وهذا صريح في ان المراد بالكلام النفسي هو مجموع اللفظ
النفسي والمعنى لا المعنى القابل للفظ مجردا كما مر بيانه غير مرة
وحينئذ فنقول اذا قال القايل زيد قايم فهناك اربعة اشيا
كما ذكرها وشي خامس تركه وهو المراد وهو زيد قايم النفسي اي
هذه الجملة بشرط وجودها في الذهن بالفاظ مخيلة ذهنية
دالة على معانيها في النفس وهو المراد بالكلام النفسي المعبر
عنه بالمعنى القايم بالنفس كما يوضحه تعبيره عنهم بالقول الذي
يدور في الخلد وتدل عليه العبارات فان القول بمعنى المقول
وقد نص بانه الذي يدور في الخلد فهو عين الكلمات المخيلة

المرتبة الذي اذا نطق كانت عين الكلام اللفظي الحقيقي ولا شك
ان اللفظ النفسي الدال علي معناه انه مدلول اللفظ ومعناه
كما بيناه سابقا واذا انكشف عندك ان مبني اعتراضاته علي
هذا الفهم المنحرف عن جهة مقصدهم سقطت اعتراضاته كلها
اذ اتي الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
ولكنا نقول علي التفصيل لمزيد الايضاح والتذليل **اما** الاول
اي قوله انه مخالف للعرف واللغة الخ فجوابه انما يتم المخالفة
اذا لم يكن عندهم مجموع اللفظ النفسي والمعني لكنه كذلك بنقل
مثل امام الحرمين وكلما كان كذلك فهو مركب من الحروف الا
انها نفسية غيبية في الحق وخيالية في المخلوق **واما** الثاني
اي قوله انه لا يوافقه الشرع الخ فجوابه ان كل ما ساقه من
الاحاديث واشار اليه من الايات وكل ما هو في هذا المعني من
الكتاب والسنة ولو كان اضعاف مائة الف الف ليس فيها
الا ان الحق سبحانه متكلم بكلام حروفه عارضة للصوت
وذلك غير قادح في مذهب الاشعري اذ علي تقدير تسليم
كونها علي ظاهرها من غير تاويل ليس فيها ان الحق سبحانه
وتعالي لا يتكلم الا بكلام مقترن بالصوت المشتمل علي الحروف
حتي يتهيأ الاحتجاج بها علي رد الاشعري القايل بالكلام
النفسي فيقول في التشنيع واين هذا من الكلام النفسي القايم
بالذات الذي ليس معه صوت ولا حرف بل غايته اثبات
الكلام اللفظي الحقيقي لله سبحانه وتعالي والدليل الشرعي الدال

علي ثبوت الكلام اللفظي للحق سبحانه ان لم يكن فيه حجة للاشعري
فلا حجة فيه عليه بل اذا حقق الامر كان في جميع ما يدل علي ثبوت
الكلام النفسي لله تعالي وذلك لما بيناه غير مرة ان الله سبحانه
وتعالي لا يتكلم بالوحي لفظا حقيقيا الا علي طبق ما في علمه تعالي
لاستحالة الاخبار علي خلاف ما في علمه بالضرورة وكلما كان كذلك
كان الكلام اللفظي صورة من صور الكلام النفسي ودليلا من ادلة
ثبوتها وتحققها وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين **واما**
قوله ثم العجب من هذا الشيخ انه لما وصل اليه قوله تعالي الرحمن
علي العرش استوي الي اخر المتشابهات التي اوردها جعلها
ثابتة لله تعالي من غير نقص وحدوث ولم يجعلها مجازا فهو
كذلك كما دل عليه كلامه في كتاب الابانة الذي هو المعول عليه
من كتبه الاصولية بنقل الحافظ الثقة الثبت ابو القاسم
ابن عساكر رحمه الله وشكر سعيه في كتابه تبيين كذب المفتري
حيث قال عند ارادة نقل عقيدته التي في الابانة ما نصه فلا
بد ان يحكي عنه معتقده علي وجهه بالامانة ويجتنب ان يزيد
فيه او ينقص منه تركا للخيانة ليعلم حقيقة حاله في صحة
عقيدته في اصول الديانة فقوله نحكي عنه معتقده علي
وجهه وقوله لنعلم حقيقة حاله في صحة عقيدته صريح
في ان ما في هذا الكتاب معتقده والا لما اعلم بحكايته صحة عقيدته
لو كان عقيدته في كتاب اخر وهو ظاهر ثم قال فاسمع ما ذكره
في اول كتابه الذي سماه بالابانة فانه قال الحمد لله الاحد الواحد

وساق منه نحو خمسة اوراق وفيه الايمان بالمتشابهات
جلال ذاته الله مع التنزيه بليس كمثله شي وقد
مر نقل بعضه ومن ذلك قوله ونصدق بجميع الروايات التي
اثبتها اهل النقل من النزول الي سماء الدنيا وان الرب
يقول هل من سايل هل من مستغفر وساير ما نقلوه واثبتوه
خلافا لما قاله اهل الزيغ والتضليل ونعول فيما اختلفنا فيه
علي كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين
الي اخر ما ساقه رحمه الله تعالي **واما قوله** فما بال المتا
صل الي هذا المطلب الذي ترتب عليه الايمان نفي مطلقا
واوله الي كلام نفسي وحمل هذه النصوص الصريحة مع كثرتها
علي المجاز والكناية فجوابه المنقول عن الاشعري نفسه
هو اثبات الكلام النفسي وانه القديم واما نفي الكلام اللفظي
فذكره الاصحاب في كتبهم الكلامية واما تاويل النصوص فذكره
بعض اهل الحديث من اصحابه فان كان النفي الذي اطبق عليه
جمهور اصحاب الكلام كالتاويل منقولا عن الاشعري نفسه
فهو في غير كتاب الابانة الذي هو المعتمد في المعتقد فانه
بعد نصه فيه علي انه يصدق بجميع الروايات التي اثبتها
اهل النقل ومنها ما مر من النزول الي سما الدنيا كل ليلة
وان الرب سبحانه يقول هل من سايل هل من مستغفر لا يشك
في كونه قايلا بالكلام اللفظي كالنفسي فان هذا يقتضيه بعمومه
وخصوصه فعلى تقدير صحة القول بالنفي عنه فهو مرجوع

عنه الي ما في الابانة وان كان اصحاب الكلام انما اخذوا
بالقول الاول لانه اوفق بالنظر الفكري اعني قولهم الكلام
اللفظي مولف من اجزا مترتبة متعاقبة في الوجود وكل ما هو
كذلك فهو حادث ويستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالي
ولكن قال الامام الشافعي رحمه الله ونور ضريحه ان للعقل
حدا ينتهي اليه كما ان للبصر حدا ينتهي اليه هذا نصه فيما
ذكره الحافظ ابن حجر في توالي التانيس بمعالي ابن ادريس
من منثور كلامه الذي ساقه الابري وابو نعيم والبيهقي
باسانيدهم الثابتة وقد مر قوله ان علم ذلك اي اسما الله
وصفاته لا يدرك بالعقل ولا الروية والفكر **وايضاح** ذلك
ذلك ان الله خلق العقول واعطاها قوة النظر الفكري وفوق
القبول لما يوهب لها من الفيض الالهي وجعل لها من حيث
قوتها الاولى حدا تقف عنده فاذا وفى العقل النظر حقه
في حده الذي حده الله له اصاب باذن الله وان
قصر فيه اخطا واما اذا اراد ان ينظر بفكره فيما وراء طوره
وفوق حده لم يرجع بطايل بل ركب متن عميا وخبط خبط
عشوا فلم يثبت له قدم ولم يرتكز علي امر تطمين اليه النفس
فان معرفة الله تعالى التي وراء طورها مما لا تستقل العقول
بادراكها من طريق الفكر وانما تدرك بنور النبوة اختصا صا
الهيا ونور الولاية ارثا نبويا لمن اتبع السنة ظاهرا وباطنا
قال الامام حجة الاسلام في مشكاة الانوار في بيان مراتب

الارواح البشرية النورانية مانصه الخامس الروح القدسي
النبوي الذي يختص به الانبيا وبعض الاوليا وفيه يتجلى
لوايح الغيب واحكام الاخرة وجملة من معارف ملكوت السموات
والارض بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها الروح العقلي
والفكري واليه الاشارة بقوله وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به الاية ولا يبعد ايها المعتكف في
عالم العقل ان يكون ورا العقل طور اخر يظهر فيه ما لا يظهر في
العقل كما لا يبعد ان يكون العقل طورا ورا التمييز والاحساس
ينكشف فيه عوالم وعجايب يقصر عنها الاحساس ولا تجعل
اقصى الكمال وقفا على نفسك انتهى بلفظه ومن هنا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند
ربنا صححه الحاكم من حديث ابن مسعود فان ما ورا طور العقل
لا يدرك بالنظر الفكري بل بنور الولاية بعد نور النبوة وفي ذلك
النور ينكشف وجه الجمع بين ليس كمثله شي وساير المتشابهات
بلا تشبيه ولا تعطيل مع عدم صرفها عن ظاهرها فما كان
محالا في النظر الفكري قد يكون ممكنا بل واقعا في هذا النور
لانه ينكشف فيه انه لا ينافي التنزيه كما كان ينافيه في نظر
العقل من طريق فكره اولا فالايمان بالمتشابه من غير تاويل
مع التنزيه بليس كمثله شي هو الاكمل فلهذا امر النبي صلى الله
عليه وسلم بالايمان بالمتشابه لا بالتاويل بمجرد الفكر لقصوره

واما تاويل الراسخين في العلم فليس بصرفها عن ظواهرها مع اثباته
لا تشبيه فيه ففايدة الايمان بالمتشابه انه يسع ما لا يسعه
النظر الفكري فيفوز بالكمال من غير تعب ومشقة وصاحب
التاويل يفوته الكمال مع مقاساة مشقة التاويل هذا وان
الشيخ الاشعري تقرر انه القايل مصدق بجميع الروايات
الصحيحة من غير تاويل وتشبيه كما اشار اليه نفي التاويل بقوله
خلافا لما قاله اهل الزيغ والى نفي التشبيه بقوله والتضليل
وبقوله قبل ذلك وان له عينين فلا كيف فهو مصدق بجميع
المتشابهات مع التنزيه بليس كمثله شي ومن المتشابهات
النصوص الدالة على ثبوت الكلام اللفظي لله تعالى فهو مصدق
بها مع تصديقه بالكلام النفسي من غير تشبيه وتعطيل
وبه نقول فانه التصديق الجامع بين نفي التشبيه والتعطيل
عند التحقيق وان انكره اكثر الاصحاب وبالله التوفيق قال
الحافظ ابن حجر في توالي التانيس قال البويطي سمعت الشافعي
يقول عليكم باصحاب الحديث فانهم اكثر صوابا من غيرهم وقال
ابو اسمعيل الترمذي سمعت الحسين بن علي الكرابيسي يقول
قال الشافعي كل متكلم من الكتاب والسنة فهو الحق وما سواه هذيان
وقال المزني قال الشافعي اذا وجدتم سنة صحيحة فاتبعوها ولا
تلتفتوا الى قول الربيع سمعت الشافعي يقول كل مسئلة تكلمت
بها وصح الخبر فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند اهل النقل
بخلاف ما قلت فانا راجع عنها في حياتي وبعد موتي قال واشهد

عنه قوله اذا صح الحديث فهو مذهبي انتهى فان قلت يوجد في كلام
الاشعري ما يدل على ان ذلك ليس من قيام الحوادث بالله في شي
قلت نعم من حقق قوله المشهور عنه في الكتب الكلامية وهو قوله
وجود كل شي اعني حقيقته ظهر له ذلك باذن الله فان معناه
ان الوجود المضاف الى حقيقة ما كقولك وجود الواجب وجود
الانسان وجود الملك وجود الجن عين تلك الحقيقة المضاف هو
اليها بمعنى انهما متحدان في الوجود الخارجي والمتاصل فيه هو الوجود
لا الماهية كما دل على ذلك ادلته المذكورة في مبسوطات الكلام
فالوجود المضاف الى حقيقة ما اي حقيقة كانت هو الموجود
في الخارج لا الماهية وحينئذ فوجود الحق هو الوجود المحض
الخالص عن كل قيد زايد على ذاته مع قبوله لما شاء من ذلك فهو منزه
عن كل صورة مع صحة تجليه فيما شاء منها وحينئذ فاذا تجلى في مظهر
له كلام لفظي فلله كلام كذلك بمقتضى ذلك المظهر فهو من احكام
المظهر لا من احكام الذات من حيث هو هو فهو حينئذ من احكام
الذات من حيث المظهر الخاص لا مطلقا وكلما كان كذلك ظهر
انه ليس من باب قيام الحوادث بذات الحق سبحانه والحمد لله
رب العالمين ثم ان الشيخ الاشعري بكلامه في الابانة يدل على
انه مصدق بجميع المتشابهات على الوجه الذي يليق بجلال
ذاته مع التنزيه بليس كمثله شي وهو الايمان الجامع المتضمن
لنفي التشبيه والتعطيل واثبات التجلي في المظاهر مع نفي الكيف
عنه فدل على انه قايل باذن الله منزه عن الكيف في كل حال حتى في

حال تجليه في ذي الكيف كما اشار اليه بقوله وان الله يقرب من
عباده كيف يشا وسيتشهد عليه بقوله تعالى ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وبقوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى مع قوله قبل هذا وان له عينين بلا كيف ولم يأول فاثبت
الكيف ونفاه ولا تناقض بين كلاميه لان الحق لذاته ليس كمثله
شي فهو منزه عن كل كيف في عين تجليه في مظهر ذي كيف وتحقيق ذلك
انما يتضح عند من يفهم قول الاشعري وجود كل شي عين حقيقته فان
حقق هذا الاصل من اصول الاشعري علم ان الحق سبحانه هو الوجود
المحض المعرى عن كل قيد زايد على ذاته اي المطلق بالاطلاق
الحقيقي الذي لا يقابله تقييد وكلما كان كذلك لم يمتنع عليه سبحانه
التجلي في المظاهر مع بقا التنزيه على حاله فالحق سبحانه تعالى وان تجلى
في مظهر كما في مظهر الاستواء والنزول والقول على لسان الرسول والمبا يعة
له فله ذلك على كمال التنزيه فكذلك اذا تجلى في مظهر له كلام بحرف
وصوت فهو في حد ذاته منزه عن ذلك غير متقيد به فلا يقدح
في كمال نزاهته بل هو من كمالات اطلاقه الحقيقي قال الحافظ ابن
حجر في فتح الباري بعد نقله عن البيهقي وغيره ان كلام الحق ليس بحروف
واصوات في كلام مبسوط منه ما ويلهم الحديث سماع الملائكة صوت
الوحي باحتمال ان يكون الصوت للسما وللملك الاتي بالوحي او
لاجنحة الملائكة واذا احتمل ذلك لم يكن نصا في المسالة انتهى ما نقله
وهذا حاصل كلام من نفى الصوت من الايمة ويلزم فيه ان الله
لم يسمع احدا من ملايكته ولا رسله كلامه بل الهمهم اياه وحاصل

الاحتجاج لنفي الرجوع الى القياس على اصوات المخلوقين لانها
التي عهد انها ذات مخارج ولا يخفى ما فيه اذ الصوت قد يكون
من غير مخارج كما ان الرؤية قد يكون من غير اتصال اشعة
سلمنا لكن نمنع القياس المذكور وصفة الخالق لا تقاس على صفة
المخلوقين واذا ثبت ذكر الصوت بهذه الاحاديث الصحيحة وجب
الايمان به ثم اما التفويض واما التاويل وبالله التوفيق انتهى
وقد مر نص الاشعري في الابانة على انه مصدق بجميع الروايات
التي اثبتها الثقات من اهل النقل وانه لا يرد شيئا من ذلك
فهو مصدق بهذه الاحاديث الصحيحة ثم انه لا يأولها وانه
مؤمن بالمتشابهات من غير تاويل مع التنزيه بليس كمثله شيء
وهو جامع لنفي التشبيه والتعطيل ومن فهم اصله المذكور اعني
قوله وجود كل شيء اعني قوله عين حقيقته ظهر له وجه صحة تجلي
الحق في المظهر كيف كان للمالك المتصرف فيه كيف شاء بالوجه الذي
ورد به الكتاب والسنة مع بقاء التنزيه بليس كمثله شيء في عين
ذلك التجلي **ومنه** يظهر انه لا منافاة بين اثبات الكلام النفسي
القديم وبين اثبات الكلام اللفظي الذي يخاطب الله به عباده
يوم القيامة في الجنة وفيما شاء من المواطن مع كونه كلاما محدودا
بطرفي الاول والاخر مسموعا سماعا محسوسا وذلك لانه من
احكام المظهر اي من احكام الذات من حيث المظهر لا مطلقا
فالذات منزه في جميع التنزلات عن احكامها في عين ظهورها
وفيما ذكرناه من الاجمال مقنع للبيب وبالله التوفيق

ولي الترتيب وفي جملة ما جاء هو الحق بين انه كلام مجمل وما رواه
الطبراني في طريق الضحاك عن ابن عباس مرفوعا ان الله تعالى ناجى
موسى بمائة الف واربعين الف كلمة في ثلاثة ايام وصايا واسماء فلما
سمع موسى كلام الادميين مقتهم بما وقع في مسامعه من كلام الرب
الحديث بطوله **واما قوله** ان ما قاله من كون هذا المعنى
النفسي واحدا يخالف العقل الى اخره فجوابه ما مر من ان
المنعوت بانه واحد بالذات يتعدد تعلقاته هو الكلام بمعنى
صفة المتكلم ووحدته مع تعدد تعلقاته يوافق العقل ولا يخالفه
عند كل عاقل منصف وقد حررنا ذلك غير مرة واما الكلام النفسي
بمعنى المتكلم به فليس عنده واحدا بل نص على انقسامه الى الخبر
والامر والنهي في الازل بنقل امام الحرمين وقد مر فسقط جميع ما
ساقه من الاعتراضات التي في سياق هذا الثالث والحمد لله رب
العالمين **ثم نقول** ان العفيف الايجي لما انحرف في فهم مذهب
الاشعري فرد عليه بما رددناه عليه ثم راى كلام من فهمه فيه
رد على الاشعري فكانه اعجبه فنقله نقلا دما نصه قال ابن القيم في
كتابه المسمى باستعجال الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة بعد
ان بين مذهب الاشعري بما ذكرناه سابقا ونعم ما قال في شان
مذهب الاشعري والبلية العظمى نسبة ذلك الى الرسول وانه
جاء بهذا ودعا اليه الامة وانهم اهل الحق وان من عداهم اهل الباطل
وجمهور العقلاء يقولون ان تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه
وهو لا يتصور الا كما يتصور المستحيلات الممتنعات انتهى بلفظه

العفيف الايجي عنه وابن القيم لاينكر فضله ولكن له تهورات
مبنية على اساس ارهن واوهى من بيت العنكبوت وهذا منها
فان كلام العفيف دل على ان ابن القيم انما فهم مذهب الاشعري مثل
فهم العفيف من ان الكلام النفسي هو المعنى المجرد والنقل الصحيح
عن الاشعري يرد ذلك في وجه من نسبه اليه كما مر غير مرة
ان الكلام الازلي عنده منقسم الى الخبر والامر والنهي وكلما كان كذلك
فالكلام النفسي هو اللفظ النفسي الدال على معناه لا المعنى
المجرد فالصاعقة المرسلة في كتابه الاستعجالة تعود اليه عما
ركب متن الاستعجال في فهم كلام الاشعري وعدم التامل والامعان
في نقول اكابر اصحابه فانه لا يخفى علينا ان العجلة من الشيطان
وان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله وجزاء
سيئة سيئة مثلها والجروح قصاص ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل والحمد لله رب العالمين اخرج الحافظ
ابن عساكر رحمه الله في التبيين من طريق ابي القاسم هبة الله بن محمد
الشيباني عن اسما بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذب عن لحم اخيه في المغيبة كان حقا على الله عز وجل ان
يعتقه من النار ومن طريق ابي غالب احمد بن الحسن بن البنا عن ابي
الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان
يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا وكان حقا علينا نصر المومنين
ومن طريق محمد بن هارون الروياني عن ابي الدرداء يقول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيب وجبت
له الجنة ومن طريق الشريف ابي القاسم بن ابراهيم عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصر اخاه
بالغيب نصره الله في الدنيا والاخرة ومن طريق ابي القاسم زاهر
ابن طاهر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انعش
حقا بلسانه جرى له اجره حتى ياتي الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه
فنقول له يا صاحب الاستعجال اليس رسول الله صلى الله عليه وسلم
جا بسورة البقرة وفيها قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من
خطبة النسا او اكننتم في انفسكم او ليس الخطبة بالكسر كلام
يتضمن طلب المراة فاذا اكنه في نفسه كان كلاما نفسيا كما اذا
عرض به كان كلاما لفظيا او ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد جا بسورة يوسف وفيها فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم قال انتم شر مكانا الى غير ذلك من الايات التي سقناها فيما
سبق المثبتة للكلام النفسي في المخلوق او ليس قد صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه انا عند ظن عبدي
بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
وقد بينا دلالته شافيا باذن الله تعالى ومما يدل على الكلام
النفسي في الحق ومما لم يذكره قبل قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وذلك ان غاية

ما بقوله الماول وان ذكر النفس للمشاكلة ان يقول كما قاله البيضاوي
حيث قال تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه
من معلوماتك انتهى ومع ذلك ففيه الشاهد ايضا كما اذا لم
يأول ويكون اطلاق النفس على الله بمعنى يليق بجلال ذاته من
غير ثبوت نقص وحدوث وذلك لان من معلوماته تعالى كلما
الكتب الالهية بلا شك وعلمه تعالى ازلي فهي كلها ثابتة
في علمه تعالى ازلا على هذا النظم والترتيب المشهور لعبد
الانزال كان من معلوماته كلمات المخلوقين لفظية او
نفسية وهذا هو المراد بالكلام النفسي بمعنى المتكلم به
بل نقول اليس قد ثبت عندك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد جاء بما لا يحصى كثرة ان الله متكلم بحرف وصوت
وهذا مما لا يمكنك انكاره ان امكنك انكار غيره ونحن
يكفينا هذا الذي لا يمكنك انكاره حجة لنا على اثبات
الكلام النفسي وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء به ودعا
اليه وان من قال به فهو من اهل الحق وان من انكره فهو من
اهل الباطل وذلك لما مر غير مرة ان الله لا يتكلم بالوحي بحرف
وصوت الا على طبق ما في علمه تعالى لامتناع خلاف الصدق
او خلاف العلم عليه وايضاح ذلك ان الله سبحانه قد تعلق علمه
ازلا بجميع الاشيا وبجميع نسب بعضها الى بعض نفيا او اثباتا
على ما هي عليه في نفس الامر بالاجماع ضرورة استحالة تعلق
علم الحق سبحانه لنسبة تعلق الاشيا الى بعض غير ما هي عليه

الا بواسطة اوهام المخلوقين الحاكمة بذلك وذلك لان
لان تعلق العلم بنسبتها على ما هي عليه جهل وهو نقص
بالاتفاق والنقص على الله محال كذلك وانما تعلق علمه
بنسبة بعض الاشيا الى بعض اثباتا ونفيا على غير ما هي عليه في نفس
الامر بواسطة ثبوتها في عقول الجاهلين والكاذبين المنسوبة
باوهامهم فذلك مع تعلق علمه تعالى ايضا بان تلك الاحكام
ليست مطابقة كما في نفس الامر كتعلق علمه تعالى بقوله حكاية
عن الكفار اتخذ الله ولدا مع تعلقه بكونه غير مطابق لما
في نفس الامر في قوله ان يقولون الا كذبا مثلا فتعلق العلم
بالاكاذيب والجهالات مع تعلقه بانها غير مطابقة للواقع
تعلق بما هي عليه في نفس الامر فظهر ان الحق سبحانه لا يمكن ان
يخبر عن الاشيا بنسبة بعضها الى بعض الا على ما هي عليه في نفس
الامر وهذا هو الذي احاط به علمه الازلي المحيط بكل معلوم
فلا يخبر عن الاشيا الا على طبق ما هي عليه في علمه تعالى وقد
انزل الله تعالى الكتب الالهية التي منها القران على هذا النظم
المشهور بين الدفتين فهو هكذا في علمه تعالى قبل ان ينزله
وقبل ان يتكلم به بصوت وحرف مسموع حيث تكلم قبلية رتبية
مطلقا وزمانية ايضا في الجملة بلا شك وهذا هو الذي نعنيه
بالكلام النفسي فظهر ان الدليل على ثبوت الكلام اللفظي
للحق الثابت عندك ثبوتا لا يمكنك انكاره يا صاحب الاستعجال
هو عين الدليل على ثبوت الكلام النفسي وهو المطلوب

وبالله التوفيق فانظر بعد هذا ايها بالانصاف هل البلية
العظمى نسبة اثبات الكلام النفسي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانه جاء به ودعى اليه الجازم او نسبة نفيه والكلام افتر حتى
ان تنفي صفة من صفات الله لاجل تشنيعك وانت القايل
في كتاب شفا العليل قال الامام احمد وغيره من اهل السنة
لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين انتهى
فيا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو
على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا
فان الله كان بما تعملون خبيرا **ثم نقول** يا للعجب ثم
يا للعجب يا صاحب الاستعجال الست القايل في كتاب الروح في
المسالة العشرين بعد نقل اقوال في حقيقة الروح ما نصك
والسادس انه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس
وهو جسم لطيف نوراني علوي حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضا
ويسري فيها سريان الما في الورد وسريان الدهن في الزيتون
والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضا صالحة لقبول الاثار
الفايضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف
مشابكا لهذه الاعضا وافادها هذه الاثار من الحس والحركة
الارادية واذا فسدت هذه الاعضا بسبب استيلا الاخلاط
الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الاثار فارق الروح
البدن وانفصل الى عالم الارواح وهذا القول هو الصواب

في المسالة وهو الذي لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه
دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل والفطرة
ونحن نسوق الادلة عليه على نسق واحد الى هنا كلامك بلفظك
ثم سقت ماية دليل وستة عشر دليلا زايدا على الماية في
نحو احد عشر ورقة فاذا كنت قايلا بان هذه الاثار المشهودة
من الجسم من الحس والحركة كلها من افادة الروح اياه ولا شك
ان من اثاره الكلام اللفظي قطعا فكيف تنكر الكلام النفسي
بعد اعترافك ضمنا بان اللفظ من اثار الروح ومفاداته
للجسم وكيف يفيد الروح ما ليس عنده وهل الاثار الظاهرة
الا صورة الاثار الباطنة وان كنت في شك من هذا فتذكر
ما سقته في الدليل التاسع والثمانين ما نصك ان الروح والجسد
يختصمان بين يدي الرب تعالى يوم القيامة **وعن** علي بن
عبد العزيز ثنا احمد بن يونس ثنا ابو بكر بن عياش عن ابي سعيد
البقال عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما تزال
الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد
فيقول الروح يا رب انما كنت روحا منك جعلتني في هذا الجسد
فلا ذنب لي فيقول الجسد يا رب كنت جسدا خلقتني ودخل في
هذا الروح مثل النار فبه كنت اقوم وبه كنت اقعد وبه اذنب
وبه لا ذنب لي قال فيقال انا اقضي بينكما اخبراني عن اعمى ومقعد
دخلا حايطا فقال المقعد للاعمى اني ارى ثمرا فلو كانت لي رجلان
لنلتها وليت فقال الاعمى انا احملك على رقبتي فحمله فتناولا من

التمر فاكلا جميعا فعلى من الذنب قال عليهما جميعا فقال قضيتما
على انفسكما انتهى هذا قدر وثبت ما يصرح بان الروح له كلام وان
البدن به يفعل ويترك فلولا ان له كلاما نفسيا في الدنيا لم
يظهر له كلام لفظي في الاخرة كما يوضحه قولك في المسالة الثامنة
ان الله سبحانه ركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل احكام
الدنيا على الابدان والارواح تبع لها ولهذا جعل احكامه الشرعية
مرتبة على ما يظهر من حركات الانسان والجوارح وان اضمرت
النفوس خلافه وجعل احكام البرزخ على الارواح والابدان تبع
لها الى ان قلت فالابدان هنا ظاهرة والارواح خفية
والابدان كالقبور لها والارواح هناك ظاهرة والابدان
خفية الى اخر ما سقته فاذا كانت الارواح خفية هنا كان
كلامها كذلك خفيا نفسيا فاذا ظهرت الروح في البرزخ
والاخرى يظهر كلامها وصار لفظيا محسوسا **فيا صاحب
الاستعجال** بعد اعتراضك بهذه القرائح وتنصيصك على
ان هذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة واجماع الصحابة
وادلة العقل والفطرة فكيف يليق بك الاستعجال حيث
تنسى هذه كلها وتجعل نسبة ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه جاء به ودعا اليه البلية العظمى فسبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم والحمد لله رب العالمين **الفصل الخامس**
قال ابن القيم رحمه الله في المسالة الثامنة من كتاب الروح في

جواب منكري عذاب القبر ما نصه ونحن نذكر امورا يعلم بها
الجواب الى ان قال الامر الثاني ان يفهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا
يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان
وقد حصل باهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول
عن الصواب ما لا يعلمه الا الله بل سوء الفهم عن الله ورسوله
اصل كل بدعة وضلالة نشأت في الاسلام بل هو اصل كل
خطا في الاصول والفروع ولا سيما ان اضيف اليه سوء القصد
فيتفق سوء الفهم في بعض الاشياء من المتبوع مع حسن قصده
وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين واهله والله المستعان
الى اخر ما ساقه كلاما حسنا صحيحا وها هو ذا ابن القيم
مع سعة اطلاعه وبسطة باعه يقع في امور لا يليق بمثله اما
بغلو واما بتقصير وحيث ان اطلاعه واسع فذلك من سوء
الفهم والله اعلم بحسن قصده ونيته فانه علام الغيوب فنقول
واذ قد انجر الكلام الى رد ابن القيم اجمالا وكان انكاره للكلام
النفسي وتصديه للاستدلال على ذلك بما سببه الاشتراك
في سوء الفهم والاوهام من اشد الناس اتباعا للسنة بمبلغ علمهم
ولكن الذين اوتوا العلم درجات وكل معبر عما خطر له بما هو من الفا
به في عيني الانكار بل اقتضاه كلامهم في غير ما موضع من كتب
الفروع كما نقلنا بعض ذلك والله اعلم **فنقول قال**
النجم ابو الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري ثم

ثم البغدادي من الحنابلة انما كانت حقيقة في العبارة مجازا في
مدلولها لوجهين احدهما ان المتبادر الى فهم اهل اللغة من اطلاق
الكلام انما هو العبارة والمبادرة دليل الحقيقة الثاني ان الكلام
مشتق من الكلم لتاثيره في نفس السامع والموثر في نفس السامع
انما هو العبارات لا المعاني النفسية بالفعل نعم هي موثرة للفايدة
بالقوة والعبارة موثرة بالفعل فكانت اولى بان تكون حقيقة وما
يكون موثرا بالقوة مجازا قال الطوفي قال المخالفون استعمل
لغة وعرفا في النفسي والعبارة قلنا نعم لكن بالاشتراك او بالحقيقة
فيما ذكرناه وبالمجاز فيما ذكرتموه والاول ممنوع قالوا الاصل
في الاطلاق الحقيقة قلنا والاصل عدم الاشتراك المجرد والمجاز
ولي ثم ان لفظ الكلام اكثر ما استعمل في العبارات وكثرة موارد
الاستعمال تدل على الحقيقة **واما قوله تعالى** يقولون في انفسهم
مجاز لانه انما دل على المعنى النفسي بالقرينة وهو قوله في انفسهم
ولو اطلق لما فهم الا العبارة وكذلك ما جاء من هذا الباب انما
يفيد مع القرينة ومنه قول عمر زورت في نفسي كلاما واما قوله
تعالى واسروا قولكم او اجهروا به فلا حجة فيه لان الاسرار خلاف
الجهر وكلاهما عبارة عن ان يكون احدهما ارفع صوتا من الاخر واما
بيت الاخطل فيقال انا المشهور فيه ان البيان لفي الفواد
وتتقيد بان يكون كما ذكرتم فهو مجاز عن مادة الكلام وهو
التصورات المصححة له اذ من لم يتصور ما يقول لا يوجد
كلاما ثم هو مبالغة من هذا الشاعر في ترجيح الفواد على

اللسان

اللسان انتهى ولابن قاضي الجبل من الحنابلة في الاجوبة عن الايات
وبيت الاخطل كلام يقاربه في المعنى ونقل ابن القيم ان الشيخ
تقي الدين رد الكلام النفسي من تسعين وجها انتهى اذا سمعت
هذا فاستمع لبيان ما فيه من الفساد وعدم فهم المراد والله
ولي التوفيق والارشاد **فنقول قوله** احدهما ان المتبادر
الى فهم اهل اللغة من اطلاق الكلام لكون الحاجة اليه اكثر كما
هو مكشوف لا لكونه هو الموضوع له خاصة بدليل استعماله
لغة وعرفا في الكلام النفسي والاصل في الاطلاق الحقيقة وقد
اعترف بذلك حيث قال بعد نقل قول المخالفين له استعمل لغة
وعرفا في النفسي والعبارة قلنا نعم **قوله** لكن بالاشتراك
او بالحقيقة فيما ذكرناه وبالمجاز فيما ذكرتموه والاول ممنوع
فجوابه ما نقله عنهم من ان الاصل في الاطلاق الحقيقة
قوله والاصل عدم الاشتراك قلنا نعم ان اردت به
الاشتراك اللفظي ولكن لا ندعيه وانما ندعي الاشتراك
المعنوي وذلك ان الكلام في اللغة بنقل النحويين ما يتكلم به قليلا
كان او كثيرا حقيقة او حكما وحيث اطلق في اللغة الكلام على
النفسي كما اطلق على اللفظي باعترافه والاصل في الاطلاق الحقيقة
دل على ان المراد بالكلام في اللغة ما يتكلم به ظاهرا او باطنا
اي باللسان او في النفس وحينئذ فيكون معنى كليا شاملا
للنفسي واللفظي شمول الكلي لجزئياته فهما فردانه له وهو
حقيقة لغوية في المعنى الكلي الشامل لهما وحينئذ فلا يرد قوله

قلنا الاصل عدم الاشتراك لان المراد به الاشتراك اللفظي
انه الاصل عدمه ونحن ندعي الاشتراك المعنوي وقد
اثبتناه وبالحمد ويجيء تاييد ذلك من كتاب الله تعالى قريبا
ان شاء الله تعالى **قوله** الثاني ان الكلام مشتق من الكلم
لتاثيره في نفس السامع والمؤثر في نفس السامع انما هو العبارات
لا المعاني النفسية الاخر **قلنا** بل الامر بالعكس بدليل ان
الانسان اذا استمع كلاما لا يفهم معناه لا يؤثر الفاظه في نفسه
شيئا من حيث انها الفاظ فدل على ان التاثير للمعنى المستفاد من
اللفظ لا اللفظ فقط ويؤيده ان الانسان الساكت الذي لا يسمع
كلام احد قد يتذكر في نفسه في حالة سرور كلاما يحزنه وقد
يتذكر في حال حزن كلاما يسره فيتاثر لهما ومن المعلوم لا صوت
ثمة وانما هي حروف وكلمات مخيلة في نفسه وهذا هو الذي نعنيه
بالكلام النفسي وهذا اعين الدليل على ان التاثير انما هو للكلام
النفسي المفهوم معناه **ومنه** يظهر ان السامع في قولهم لتاثيره في
نفس السامع ليس بقيد بل يقال لتاثيره في النفس فان كان كلاما
[illegible]ا ففي نفس السامع وان كان نفسيا ففي نفس المتذكر المتفكر
قوله واما قوله تعالى يقولون في انفسهم فمجاز لانه انما دل على
المعنى النفسي بالقرينة وهو قوله في انفسهم ولو اطلق لما فهم الا
العبارة **قلنا** يرده قوله تعالى عن الذين نافقوا قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم وقوله تعالى سيقول لك المخلفون

من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بيان ذلك ان مجرد ذكر في انفسهم
لو كان قرينة على كون القول مجازا في النفسي لكان ذكر بافواههم
في الاية الاولى وبالسنتهم في الاية الثانية قرينة على كونه مجازا
في العبارة لكن اللازم باطل فكذا الملزوم فلا يلزم من قيد في
انفسهم ان يكون القول مجازا في النفس كما لا يلزم من قيد بافواههم
وبالسنتهم ان يكون القول مجازا في اللسان بل في ذلك دليل على
ان القول مشترك لمعنى بين النفسي واللفظي اي انه موضوع
لما يتكلم به في اللفظ او في النفس فيعم القسمين ويكون حقيقة
لغوية فيهما وهذا هو التاييد الذي وعدنا لك بمجيئه من كتاب
الله وفيه دليل ايضا على ان الصادق انما يقول بلسانه ما هو في
قلبه وهو عين الدليل على اثبات الكلام النفسي والمنافق يقول
بلسانه ما ليس مصدقا به في قلبه بل مكذبا به ومن المعلوم
ان الذي يقوله المنافق بلسانه موجود في قلبه ايضا لكن لا على
وجه التصور الذي يتعلق به التكذيب لا التصديق نعم ان
قوله اللساني يدل على انه مصدق به في قلبه لان الجملة الخبرية
كما قاله السيد الجرجاني في شرحه للمفتاح تدل دلالة وضعية
على نسبة تامة ذهنية مشعرة بحصول نسبة اخرى في الواقع
موافقة للاولى في الكيفية وهذه النسبة الاخرى مدلولة
للخبر بتوسط الاولى فان كانت هذه النسبة الاخرى المشعر بها
حاصلة كان الخبر صادقا والا كان كاذبا انتهى الغرض منه

المقصود منه ان الجملة الخبرية لكونها تدل وضعا على نسبة
ذهنية دالة على ان المتكلم لها مصدق بمضمونها
صادقا كان القائل او كاذبا ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل وذلك
انهم اذا قالوا لا اله الا الله بعد امره صلى الله عليه وسلم فقد ظهر
منهم ما يدل دلالة وضعية على انهم مصدقون بمضمونها عن قوله
وامره صلى الله عليه وسلم وكل من كان كذلك فهو مؤمن معصوم
المال والدم فهؤلاء معصومون دما واموالا واما انهم هل
صدقوا بقلوبهم كما دل عليه كلامهم اللفظي ام فحسابهم على الله
في الصحيح كما قال البخاري من حديث ابي سعيد رفعه اني لم اومر
ان انقب عن قلوب الناس ومن هنا قال الامام الشافعي رحمه
الله تعالى في كتاب الام عقب ايراده لحديث ام سلمة في المتفق
عليه انكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من
بعض فاقضي له على نحو ما اسمع الحديث ما نصه فاخبرهم صلى
الله عليه وسلم انه انما يقضي بالظاهر وان امر السرائر الى الله تعالى
انتهى **ومن** هنا انكر صلى الله عليه وسلم على من قتل الشخص القائل
اني مسلم واعتذر بانه ما قال الذي قاله الا تعوذا بقوله
صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه فنظرت اصادق هو
ام كاذب قال لو شققت عن قلبه ما كان هل قلبه الا بضعة من لحم
قال لا ما في قلبه تعلم ولا لسانه صدقت الحديث رواه

الطبراني في الكبير من طريق محمد بن الفضل السقطي عن جندب
ابن سفيان رضي الله عنه وفيه دليل ايضا ان الصادق بقوله ما في
قلبه فهو دليل الكلام النفسي ايضا **فان قلت** لو اطلق لما لهم
الا العبارة فقيد بالسنتهم وبافواههم توكيد **قلت** ذلك
لما امر من شهرة هذا القسم وكثرته في الاستعمال لكثرة الاحتياج
في المحاورات الجهرية كلها اليه لا لكونه الموضوع له خاصة
واشتهار اللفظ في احد معنييه الحقيقيين او في احد فرديه
بحيث يتبادر الى الذهن دون الاخر غير مستنكر بل قد يشتهر
اللفظ في معناه المجازي بحيث يكون اسرع تبادرا الى الذهن
من الحقيقي كما هو مذكور في محله واذ قد ثبت اطلاق الكلام والقول
على النفسي لغة وعرفا باعترافكم مع كون الاصل في الاطلاق
الحقيقة فقد ثبت المطلوب كان اللفظي اشتهر او لم يكن وبالله
التوفيق **قوله** واما قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا
به فلا حجة فيه لان الاسرار خلاف الجهر وكلاهما عبارة عن ان يكون
احدهما ارفع صوتا من الاخر **قلت** هذا تحكم ومجرد دعوى
لا دليل عليها بل قد مر ما يدل على بطلانها وذلك لان السر كما قال
الزمخشري في كشافه ما حدث به الرجل نفسه او غيره في مكان خال
انتهى ولا شك ان القسم الاول لا صوت فيه وما قاله الزمخشري
ليس كقوله مجرد دعوى بل دليله قائم من اللغة والكتاب والاثر
اما من اللغة ففي القاموس السر بالكسر ما يكتم واسر اليه حديثا
افضى انتهى ومن المعلوم الواضح ان ما يكتم اعم من ان يكتم في

النفس فلا يكون له صوت اصلاً ومن ان يكتم عن غيره من يحدثه
في مكان خال فيكون له صوت تخفى واما من الكتاب فقوله
تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اي كتم تلك المقالة
اعني قوله انتم شر مكانا في نفسه ولم يظهرها لهم بالنطق بها وهذا
نص في اطلاق الاسرار على ما لم ينطق به صاحبه فيكون نصا
في ان احد قسمي السر ما يحدث به الرجل نفسه من غير ان ينطق به
فلا يكون الصوت معتبرا فيه ولا بد وهو المطلوب وقد
سقنا من الايات التي ذكر فيها السر صريحا او ضمنا اكثر من عشرين
اية فيما سبق ولم نستوعب والكل فيها حجة على اثبات الكلام
النفسي كما تبين سابقا ولاحقا **واما** من الاثار فمنها ما مر
عن ابن عباس رضي الله عنهما اسروا ما اسر ابن ادم في نفسه **وعن**
الضحاك اسروا ما اسررت في نفسك وغير ذلك والله التوفيق
قوله واما بيت الاخطل فيقال ان المشهور فيه ان البيان
لفي الفؤاد **قلت** وفيه الشاهد ايضا وذلك لان البيان اما
اسم مصدر بمعنى ما يبين به كالكلام بمعنى ما يتكلم به او مصدر
بمعنى التبيين او اسم مصدر استعمل استعمال المصدر الذي
هو التبيين فعلى الاول هو بمعنى الكلام الذي هو بمعنى المتكلم
به فلا فرق بينه وبين الكلام الا في اللفظ واما على الاخرين
فهو بهذا المعنى اذ كان قلبيا فعل القلب كما اذا كان لسانيا فعل
اللسان وذلك لانه ترتيب القلب الذهنية على وجه اذا اعبر
عنها باللسان افهم غيره ما قصده منها فهو مستلزم للكلام

النفسي بمعنى المتكلم به لانه اثر البيان النفسي الذي هو بمعنى
التبيين وحاصل به ولا شك انه مقدم على تعبير اللسان رتبة
وزمانا كما يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما
حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل به فجعل ما حدثت به
النفس قبل ان يتكلم به لسانه عفوا وهو مع كونه دليل على
اثبات الكلام النفسي بنص صريح في كون الكلام النفسي مقدما
على اللسان فصح المعنى ان البيان لفي الفؤاد اولا وبالذات
وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا وصح الاستشهاد به على
اثبات الكلام النفسي بالالتزام كما صح على الوجه الاول بالمطابقة
فلم ينفع تغيير المشهور في الخلاص شيئا **واما قوله** وتقدير
ان يكون كما ذكرتم فهو مجاز عن مادة الكلام وهو التصورات
المصححة له اذ من لم يتصور ما يقول لا يوجد كلاما فهو من العجب
العجاب وذلك لانه اقر بالكلام النفسي في صورة جحد وانكار
من حيث لا يشعر فانه اذا اعترف بان من لم يتصور ما يقوله
لا يوجد كلاما فقد اعترف بان كل متكلم لا ينطق بكلام الا بعد
ان يتصور ما يقوله وتصور ما يقوله في الذهن انما هو في
ترتيب الكلمات المخيلة الذهنية على وجه اذا انطق بها
كانت عين كلامه اللفظي ولا نعني بالكلام النفسي الا هذا
على انه ادعى المجاز تحكما مع كون الاصل في الاطلاق الحقيقة
قوله ثم هو مبالغة من هذا الشاعر في ترجيح الفؤاد على
اللسان **قلت** بل هو تحقيق من غير مبالغة كما بيناه قريبا

وابرناه بحديث ان الله تجاوز لامتي الحديث بل كل دليل للكلام
النفسي يؤيد هذا بل كل دليل على ثبوت الكلام اللفظي يؤيد
هذا فان كل كلام لفظي انما هو صور من صور الكلام النفسي والنفسي
مقدم عليه رتبة وزمانا قطعا فاذكره هذا الشاعر كلامه
انطق بها على بينة من الامر او كانت منه رمية من غير
رام فان معناه موجود في حديث ابي سعيد العينان دليلان
والاذنان قمعان واللسان ترجمان الى ان قال والقلب ملك
فاذا صلح الحديث اخرجه ابو الشيخ في العظمة وابو نعيم في الطب
وفي حديث ابي هريرة القلب ملك وله جنود الى ان قال واللسان
ترجمان الحديث اخرجه البيهقي في شعب الايمان كما في الجامع
للسيوطي رحمه الله ومن هنا ينكشف اضمحلال كلام الموفق
ابن قدامة في رد الاستشهاد ببيت الاخطل هذا اما نقرر
ان هذا الشاعر نصراني عدو الله ورسوله ودينه افيجب اطراح
كلامه تعالى ورسوله وسائر الخلق تصحيحا لكلامه وحمل
كلامه على المجاز صيانة لكلمته هذه عن المجاز وايضا فيحتاج جون
الى اثبات هذا الشعر ببيان اسناده ونقل الثقات له ولا
تنفع شهرته فقد يشتهر الفاسد وقد سمعت شيخنا ابا محمد
ابن الخشاب امام اهل العربية في زمانه يقول قد فتشت
دواوين الاخطل العتيقة فلم اجد هذا البيت فيها اصلا
فلما تبين عند كل منصف انه موافق لكلام الله وكلام رسوله
صلى الله عليه وسلم واجماع الصحابة بل اجماع سائر الخلق حق

المنكرين للكلام النفسي حيث اعترفوا اما في عين انكارهم
او في مكان اخر حتى الموفق ابن قدامة فانه اعترف به في عين
انكاره متصلا بهذا الكلام حيث قال ان هذا مجاز اراد به ان
الكلام من عقلاء الناس انما يكون بعد التروي فيه واستحضار
معانيه في القلب انتهى وهل استحضار معانيه الا ملاحظتها
في ضمن الكلمات الذهنية التي يرتبها في ذهنه على وجه اذا انطق
بها كانت عين كلامه اللفظي ولا نعني بالكلام النفسي الا هذا
وقد مر اعترافه به في غير ما موضع من كتابه الكافي في الفروع
كاعتراف غيره من الحنابلة فظهر انه ليس في ذلك اطراح
لكلام الله تعالى ورسوله وسائر الخلق بل فيه تقرير لذلك
واما ثانيا فلان الله تعالى قد اغنانا ولله الحمد عن اثبات
هذا الشعر في بيان اسناده بما اطلعنا الله عليه من كتابه
العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وسنة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واجماع ع
الصحابة الذين هم خير القرون فالمقصود حاصل ولو فرضنا
ان الله لم يخلق الاخطل اولم ينطقه بهذه الكلمة وعلى ان
عدم وجدان ابن الخشاب اياه في دواوينه العتيقة لا حجة فيه
على انتفائه بالكلية لان الحافظ حجة على من لم يحفظ والمثبت
مقدم على النافي وبالجملة فالموفق بن قدامة بالغ في الرد والانكار
على القائل بالكلام النفسي جدا وافرط في ذلك افراطا لا يليق
بمثله في حق اكابر العلماء المحققين مع كونه مبنيا على اساس

فاسد فانه مبني علي سوء فهمه من كلام القايلين ما لا يريدونه
وهذا اعترف في عين جحوده من حيث لا يشعر فالرد انما يتوجه علي
فهمه الشي لا علي قول القايلين به وبالله التوفيق والله اعلم **واما**
قول ابن القيم ان الشيخ تقي الدين رد الكلام النفسي من تسعين
وجها **فاقول** لو رده في زعمه من تسعماية وجه او تسعة الاف
وجه او ما شا من الاعداد فانما يرد علي نفسه ويشهد عليها
بسوء الفهم للكتاب والسنة في هذه المسالة وكلام القايلين به ولو
لم يكن الا اعترافه بالكلام اللفظي لكفي فانه بعد اعترافه بالكلام
اللفظي اذا انكر الكلام النفسي فانما يشهد بالورود والانكار علي
نفسه بسوء الفهم والانحراف عن مقصود الكتاب والسنة والقا يلين
به وقد بينا ذلك غير مرة **قال** الطوفي في قول حجة الاسلام
الغزالي من احال سماع موسي كلاما ليس بحرف ولا صوت فليحل
يوم القيامة روية ذات ليس بجسم ولا عرض انتهى كل هذا
تكلف وخروج عن الظاهر بل عن القاطع من غير ضرورة الا خيالات
لاغية واوهام متلاشية وما ذكروه معارض بان المعاني لا تقوم
شاهدا الا بالاجسام فان اجازوا معني قايما بالذات القديمة
وليست جسما فليجيزوا خروج صوت من الذات القديمة
وليست جسما اذ كلا الامرين خلاف الشاهد ومن احال كلاما
لفظيا من غير جسم فليحل ذاتا مرئية غير جسم ولا فرق **والعجب**
من هولا القوم مع انهم عقلا فضلا يجوزون ان الله تعالى يخلق
لمن يشا من عباده علما ضروريا وسمعا لكلامه النفسي من

غير توسط صوت ولا حرف وان ذلك من خاصة موسى عليه السلام
مع ان ذلك قلب لحقيقة السمع في الشاهد اذ حقيقة السمع
في الشاهد انما هي الاصوات بحاسته فان قالوا يستحيل وجود
حرف وصوت لا من جسد قلنا ان عنيتم استحالته بالاضافة
الي الشاهد فسماع كلام بدون توسط صوت وحرف كذلك ايضا
وان عنيتم استحالته مطلقا فلا نسلم ان الباري جل جلاله علي خلاف
المشاهد والمعقول في ذاته وصفاته وقد وردت النصوص بما
قلناه فوجب القول به انتهى **قوله** كل هذا تكلف وخروج عن الظاهر
بل عن القاطع من غير ضرورة **قلت** اثبات الكلام النفسي موافق
للظاهر بل القاطع فانه ثابت بعين ما ثبت به اللفظي وهو ثابت
بالقاطع عنده فكذلك النفسي فانه مقدم علي اللفظي واللفظي من
صوره كما مر غير مرة **قوله** فان اجازوا معني قايما بالذات الي قوله
خلاف الشاهد **قلت** لا يصح القياس لوجود الفارق فان المعني
القايم بالذات القديمة معني محقق اي مجرد عن المادة مطلقا
حسيا كان او خياليا والمعني القايم بالاجسام معني مادي واما
الصوت المحسوس فلا يمكن ان يكون مجردا عن المواد مطلقا والا
لكان معقولا محضا لا محسوسا والغرض انه محسوس فلا بد من اثباته
لله تعالى من اثبات التجلي في المظهر ولا منافاة فان نفيه عن الله
تعالى انما هو بالنظر الي الذات من حيث هو هو لا من حيث التجلي
في المظهر وهو صحيح مقطوع به وقد مر بيان ذلك موجزا في رد
كلام العفيف الايجي **قوله** ومن احال كلاما لفظيا الي قوله

يلين

لعله وسكوت

ولا فرق **قلت** بل الفرق واضح عند من يعرف مراتب الوجود والعوالم
وذلك لان متعلق صحة الرؤية هو الوجود مطلقا اعني كون الشي
ذا هوية ما اي ذا وجود متعين اي ما صدق عليه هذا
المفهوم الكلي من تقييد بان تكون تلك الهوية هوية واجب
او ممكن جوهر او عرض لا خصوصيات الهويات والوجودات عبر
فيه لكنه لا يشترط ان يكون المرئي متعينا بذلك التعين
المخصوص في علم الرائي متميزا به عنده فانا نرى الشبح من بعيد
ولا ندرك منه الا انه هوية ما من الهويات وجود مخصوص
من الوجودات التي هي عين الموجودات عندنا لا الاشعري فان وجود
كل شي عنده عين حقيقته بمعنى ان ما صدق وجود الشي وحقيقته
في الخارج واحد والمتاصل في الوجود هو الوجود لا الحقيقة
هذا واما خصوصية تلك الهوية وجوهرا او عرضيه وكلما
كان كذلك كان المدرك المخصوص صالحا لان يحكم عليه بامور مختلفة
الحقايق على سبيل البدلية وكلما كان كذلك لم يمتنع الحكم عليه
بامور مختلفة الحقايق صح ان يكون متعلق الرؤية عند الرائي
مشتركا على سبيل البدلية فمتعلق الرؤية هو الهوية المشتركة
بين الجواهر والاعراض والواجب سبحانه وتعالى وتلك الهوية
المشتركة هو الوجود المطلق بالمعنى المذكور اي كون الشي ذا
هوية ما من غير تقييد بخصوصية ما وذلك لان كل واحد
من الممكنات الموجودة في الخارج من الجواهر والاعراض كان له
وجود خارجي متعين كذلك للحق سبحانه وجود خارجي متعين

وان

وان كان ليس كمثله شي فاشترك الكل في ان له وجودا خارجيا
متعينا وان اختلفت حقايق وجوداتها وهذا هو المراد بان
المشترك بينها هو الوجود المطلق فليفهم فانه من الدقة بمكان
فظهر ان الخصوصية ليست معتبرة في الرؤية فيصح ان
يرى الحق سبحانه لكونه موجودا ذا هوية مع انه ليس كمثله شي
كما يصح ان يرى الجوهر والعرض لكون كل منهما ذا هوية اي وجود
خارجي متعين وفي البخاري لا شخص اغير من الله قال الحافظ
ابن حجر في فتح الباري بعد بيان صحة طرق هذا الحديث ونقل الطعن
فيها عن ابن بطال لما نصه ورد الروايات الصحيحة والطعن في
ايمة الحديث الضابطين مع امكان توجيه ما رووا من الامور
التي اقدم عليها كثير من اهل الحديث وهو يقتضي قصور فهم من
فعل ذلك منهم ومن ثم قال الكرماني لا حاجة لتخطية الرواة الثقات
بل حكم هذا سائر المتشابهات اما التفويض واما التاويل انتهى
فاذا صح اطلاق الشخص على الله تعالى فهو ذو هوية قطعا فيصح
ان يرى مع انه ليس كمثله شي فظهر ان الرؤية ليست من
شرطه ان يكون المرئي جسما بل من شرطه ان يكون المرئي ذا هوية
اي ذا وجود متعين والله سبحانه وتعالى كذلك عقلا ونقلا
حتى انه اطلق عليه تعالى في الحديث الصحيح اسم الشخص الذي هو
الموجود المتعين في الخارج مع انه ليس كمثله شي وذلك بخلاف
الكلام اللفظي فانه لا يكون الا ماديا والا لكان معقولا لا محسوسا
عادة والفرض خلافه فظهر الفرق ولله الحمد **قوله** والعجب من

هولا القوم الى قوله فان قالوا **قلت** حقيقة السمع لا تنقلب
الا اذا قيل انه يتعلق بغير الكلام واما اذا كان متعلقا بالكلام
ولو نفسيا فهو على حقيقته والدليل على كون النفسي مسموعا
للحق سبحانه قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم
بلى وقد مر ان احد قسمي السر الكلام النفسي الذي لا صوت فيه
وهو مسموع لله بالنص فدل على ان متعلق السمع انما هو الكلام
مطلقا لا خصوص الحروف العارضة للصوت وكما كان كذلك
فالله سميع لكلامه النفسي ازلا ولم يزل وقد قال تعالى في الحديث
القدسي الصحيح فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث
فلا مانع من ذلك على وجه الكرامة وخرق العادة لعبد هذا اوان
جعله الطوفي من قبيل المحالات وقلب الحقايق ومما يدل على سماع
الحق للكلام النفسي قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل صلوات
الله عليه وسلامه الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق
ان ربي لسميع الدعا والدعا كلام بلا شبهة ثم قال تعالى في
الاعراف ادعوا ربكم تضرعا وخفية ومن اقسام الخفية السر
بالمعنى الاول اي ما يحدث به الانسان نفسه فالدعا بالتكلم
النفسي داخل في الدعا خفية وان ربي لسميع الدعا مطلقا فالله
سميع للدعا النفسي وهو المطلوب **قوله** فان قالوا يستحيل
الى قوله فسماع كلام بدون توسط صوت وحرف كذلك **قلت**
ان اراد استحالته عادة فمسلم او مطلقا ولو على وجه خرق
العادة فلا لما تبين انه ممكن وانما الكلام في الوقوع هذا في الخلق

واما في الله سبحانه فقد دل النص على وقوع سماعه للسر المشتمل
على ما ليس حروفه عارضة للصوت فالله سميع للكلام المعقول
والمحسوس ازلا ولم يزل والعبد انما يسمع عادة ما حروفه عارضة
للصوت المحسوس عادة وسماعه لغيره ممكن ولم نقف على دليل
وقوعه لشخص معين ولكن عموم الحديث الصحيح فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به الحديث يدل على ان كل من حصل له قرب
النوافل من الاوليا والورثة للانبيا يحصل له من ذلك ما شا الله
ان يحصل له باذن الله والله اعلم **قوله** وان عنيتم استحالته
مطلقا الى قوله توجب القول به **قلت** هذا كلام صحيح مسلم
ولكن تلك النصوص الدالة على مدعاكم دالة على مدعانا ايضا كما
تبين توجب القول به ايضا ونحن نقول بالقسمين اتباعا لما انزل
الله وتركا لاتباع من دونه اوليا فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر
هذا ومن الكلام الناشي عن سو الفهم كلام ابي نصر السجزي المنحرف
جدا ولا حاجة الى نقله ورده ولكن ننبهك على انحرافه بواحدة
قال ان الاشعري قايل بان قوله تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون على ظاهره وكن حرفان وهو مخالف لمذهبه
انتهى فانظر هذا الفهم والاشعري يقول ان الكلام الازلي ينقسم الى
خبر وامر ونهي ترى العجب وقس المتروك بالمذكور في الانحراف
قال ابن قاضي الجبل احتج الجمهور بالكتاب والسنة واللغة
والعرف اما الكتاب فقوله سبحانه ايتك ان لا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا

بكرة وعشيا فلم يسم الاشارة كلاما وقال لمريم فقولي انى نذرت
للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا **وفى** الصحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله لامتي الخطا والنسيان وما حدثت به
انفسها ما لم نتكلم او تعمل وقسم اهل اللسان الكلام الى اسم وفعل
وحرف واتفق الفقها كافة على ان من حلف لا يتكلم لا يحنث بدون
النطق وان حدثته نفسه **فان قلت** الايمان مبناها على العرف
قيل الاصل عدم التغيير واهل العرف يسمون الناطق متكلما
ومن عداه ساكتا او اخرس قالوا وقوله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون اكذبهم الله في شهادتهم ومعلوم صدقهم
في النطق اللساني فلا بد من اثبات كلام النفس ليكون الكذب
عايدا اليه فالجواب ان الشهادة الاخبار عن الشي مع
اعتقاده فلما لم يكونوا معتقدين لذلك اكذبهم الله تعالى
انتهى **قوله** اما الكتاب فقوله سبحانه اياتك الا تكلم الخ
قلت هذا نصب للدليل في غير محل النزاع لان الكلام النفسي
الذي يدعيه كلمات مخيلة في الخلق وكلمات غيبية في الحق
سبحانه لا الاشارة وهو ظاهر فان اراد القياس بان يقول
اذا لم يسم الاشارة كلاما فلا يسمى النفسي كلاما ايضا بجامع انتفا
الصوت فهو قياس فاسد لان الكلام النفسي مركب من الكلمات
المخيلة او الغيبية والاشارة ليست كذلك وقد تظافرت ادلة
الكتاب والسنة على اطلاق الكلام عليه على ان اطلاق الكلام

لعله غفر

على الرمز والاشارة لغة فنقول في كتب النحو بلا شبهة وربما
يؤيده قوله تعالى في ال عمران ان ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة
ايام الا رمزا والاصل في الاستثنا الاتصال وجنيئذ فاية
سورة مريم مقيدة بما قيد به اية ال عمران فقوله فاوحى اليهم
هو المستثنى في ال عمران فليس في الاية انه تعالى لم يسمه كلاما
كلاما بل اذا جمع بين الايتين يظهر انه قد سماه كلاما بنا على
ان الاصل في الاستثنا الاتصال ولكن قدم البيضاوي
قوله والاستثنا منقطع على قوله وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير انتهى وذلك لانه جعل تعريف الكلام اللغوي
المشهور اعني ما يتكلم به الى اخره قرينة صارفة للاستثنا عن
اصله ومن تمسك بالاصل تصرف في تعريف الكلام اللغوي بالعموم
فقال ما دل على الضمير فشمل الاشارة فليتنبه على انا نقول وان لم
يوجد الاستثنا فقرينة المقابلة بقوله فاوحى اليهم وقوله
فاشارت اليه كافية في ان المراد نفي التكلم المعروف بين الناس
ولا يلزم من كون اللفظ حقيقة في معنى له افراد مختلفة ان يراد
به جميع افراده كلما اطلق بل قد يراد به كلها وقد يراد بعضها
بحسب ما تدل عليه القراين في المقامات ولنوضح ذلك بمثال
وهو ان الشي في اللغة ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كما نقله في
الكشاف عن سيبويه امام اللغة وهذا مفهوم كلي يشمل حقيقة
بقوته الموجود الذهني ممكنا وجوده في الخارج او ممتنعا والخا
واجبا كان او ممكنا جوهرا او عرضا لان كل ذلك يصح ان يعلم

رجي

ويخبر عنه ثم انه يختلف اطلاقاته بحسب القرائن فقد
يطلق ويراد به جميع افراده مثل قوله تعالى والله بكل شيء
عليم بقرينة احاطة العلم الالهي بكل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه
من الموجودات خارجا والمعدوم ما ثبت فيه وقد يطلق ويراد
به الممكن فقط مثل قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير بقرينة
ان القدرة لا تتعلق الا بممكن وقد يطلق ويراد به المعلوم في
الخارج فقط كقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون بقرينة تعلق ارادة التكوين والايجاد به الذي
يختص بالمعدوم وقد يطلق ويراد به الموجود في الخارج فقط
كقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بقرينة الخلق
فانه يخصصه بالموجود الخارجي لامتناع ان يراد ولم تك شيئا قبل
الايجاد بالمعنى الشامل لجميع افراده لانه قبل الخلق كان ثابتا
في علم الله به ازلا فان قلت اليس اصحابنا الاشاعرة يقولون
ان شيئا حقيقة في الموجود مجاز في المعدوم فكيف قلتم انه يشمل
المعدوم والموجود حقيقة لغوية قلت انهم قد قالوا ذلك
ولكن لم اقف على دليل لهم على ذلك يتم **واما** ما تمسك به في شرح
المقاصد من شيوع الاستعمال في الموجود الخارجي فالظاهر ان ذلك
لكون الحاجة الى بيان احكامه امس وتعلق الغرض في المحاورات
باحواله لعموم الناس اكثر لا لكونه هو الموضوع له لا غير واما
قول السيد الجرجاني قدس سره في شرح المواقف ان اهل اللغة في
كل عصر يطلقون لفظ الشيء على الموجود حتى لو قيل عندهم الموجود

شيء تلقوه بالقبول ولو قيل ليس بشيء قابلوه بالانكار فدليل
غير منطبق على الدعوى التي هي ان كل شيء موجود وكل موجود شيء اذ
لا يلزم مما ذكره الا ان كل موجود شيء لغة وانه لا يطلق عليه لغة
انه لا شيء واما ان كل شيء موجود اي في الخارج فلا لظهور انه
لا يلزم من اختصاص شيء بالاطلاق على الموجود لغة بالنسبة
الى اللاشيء ان يكون مختصا بالموجود مطلقا لجواز ان يكون الشيء
يطلق على المعدوم والموجود لغة مع اختصاص الموجود الخارجي
باطلاق الشيء دون اللاشيء فلا يتم التقريب ولا يخفى ان شيئا اذا
اطلق في الكتاب والسنة في غير ما موضع وكلام البلغاء كذلك
على المعدوم كالموجود وقد ثبت عن سيبويه ان في اللغة
ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فلا يليق بالاشاعرة العدول عنه لان
طريقة الاشعري المحافظة على ظواهر الكتاب والسنة مهما
امكن وقد تبين امكانه بنقل سيبويه امام اللغة فلا حاجة الى
العدول عنه وبالله التوفيق ومن هنا يتضح الجواب عن الحديث
فانه جعل التكلم مقابلا لحديث النفس فهو من اوضح القرائن على
ان المراد به الكلام المعروف اعني اللفظي لا المطلق الشامل للفظي
والنفسي فلا حجة فيه على نفي الكلام النفسي بل هو نص في اثباته لان
الحديث هو التكلم كما عبر عنه به عكرمة فيما نقله حيث قال واخفى
ما تكلمت به في نفسك ولكن الله يحول بين المرء وقلبه ونسأله
العافية ظاهرا وباطنا اولا واخرا وان يتم نعمته علينا بكرمه
فانه الجواد الكريم المنان ذو الفضل العظيم امين **قوله** وقسم

بل اللسان الى اخره لا نشاحح فيه لانا لا ننكر هذا التقسيم ولكنا
نقول كل من هذه الاقسام لفظي ونفسي **قوله** واتفق الفقهاء الى
قوله الاصل عدم التغيير **قلت** الاصل لا يعدل عنه الا اذا صرف
عنه صارف فيجب حينئذ العدول عنه وكون الايمان مبناها
على العرف صارف واي صارف وذلك لان الرجوع في اليمين الى
نية حالف ليس لها ظالما كما في منتهى الارادات ومن حلف
لا يتكلم فلا يبر في العرف الا بالتكلم بصوت وحرف وكانهم من هنا
قالوا الايمان مبناها على العرف فلهذا لا يحنث لا لان الحديث
النفسي لا يسمى كلاما قال في منتهى الارادات من حلف لا ياكل
عيشا حنث باكل خبز وذلك لانه المعروف في العرف مع ان العيش
الحياة **قوله** واهل العرف الى اخره **قلت** تسمية اهل العرف
من عدا الناطق ساكتا انما هو باعتبار سكوته عن الكلام المعروف
عندهم فلا حجة فيه على الكلام النفسي عندهم توضيح ذلك ان الساكت
لو كان ساكتا مطلقا لما شغله عن سماع حديث صاحبه شاغل
لكن قد يشغله كلامه نفسه بحديث لا يسمع كلام صاحبه **فعن** محمد
ابن جبير ان عمر مر على عثمان فسلم عليه فلم يرد عليه فدخل على
ابي بكر فاشتكى ذلك اليه فقال ابو بكر ما منعك ان ترد على اخيك
قال والله ما سمعته وانا احدث نفسي قال ابو بكر فبما ذا تحدث
نفسك قال خلا في الشيطان فجعل يلقي في نفسي اشياء ما احب
اني تكلمت بها وان لي ما على الارض فقلت في نفسي حين القى الشيطان
ذلك في نفسي يا ليتني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينجينا

حديث

من هذا الحديث الذي يلقي الشيطان في انفسنا فقال ابو بكر فاني والله
لقد اشتكيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالته ما الذي ينجينا
من هذا الحديث الذي يلقي الشيطان في انفسنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينجيكم من ذلك ان تقولوا مثل الذي امرت به عمي عند
الموت فلم يفعل اخرجه ابو يعلى في مسنده قال البوصيري في زوايد
العشرة مسنده حسن كذا في الجامع الكبير للسيوطي رحمه الله تعالى
فقد صرح سيدنا عثمان رضي الله عنه بانه ما سمع سلام عمر رضي الله عنه
لتشاغل سمعه بسماع حديث نفسه مع كونه ساكتا عن الكلام
اللفظي حين السلام عليه فلو كان ساكتا في الباطن كما كان ساكتا
في الظاهر والحس لم يشغله عن سماع السلام شيء وهو ظاهر عند كل منصف
منصف **وفيه** ايضا اثبات الكلام النفسي باتفاق الخلفاء بحضرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مر اتفاق الصحابة على ذلك عند نزول
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وتقرير رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهم حتى رفع الله عنا وعنهم الحرج بكرمه بنزول بقية السورة
فالحمد لله رب العالمين **قوله** قالوا قوله تعالى اذا جاءك المنافقون
الى اخره **قلت** هذا اعتراف بالمقصود في صورة الرد والانكار
وذلك لان الاعتقاد تصديق القلب بجملة خبرية والتصديق بها
نسبتها الى الصدق لانه تفعيل للنسبة كالتفسيق والتكذيب
والتبديع فكانهم قالوا نخبرك بانا مصدقون في قلوبنا بانك رسول
الله اي ان قلوبنا تنسب هذه الجملة الخبرية اي انك لرسول الله
الى الصدق ومطابقة الواقع ومن المعلوم ان القلب لا يمكن ان ينسب

كلاما الى الصدق ومطابقة الواقع الا بعد تصور اطرافه والنسبة
بينهما ثم الحكم باحدهما على الاخر بنفي واثبات والاطراف المتصورة
المربوطة بعضها ببعض بالنسبة هي الكلمات الذهنية المخيلة
المرتبة ترتيبا اذا انطق بها كانت عين كلامه اللفظي وهذا هو
الذي نعنيه بالكلام النفسي لكنهم لما لم يكونوا مصدقين بتلك
الجملة بعد تصور اطرافها بل مكذبين لها اي قايلين في قلوبهم
ان هذه الجملة ليست مطابقة للواقع قال الله تعالى والله يعلم
انك لرسوله وما يعلم الله مطابق للواقع ونفس الامر بل علم الله هو
نفس الامر فما ليس في علم الله فلا وجود له في مرتبة من المراتب
اصلا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم التصديق به فظهر ان هذا الجواب من ابن قاضي
الجبل اعتراف بالمقصود في صورة الانكار وبالله التوفيق في
الاعلان والاسرار والحمد لله رب العالمين اناء الليل واطراف النهار
وللموفق ابن قدامة كلام طويل منحرف عن القصد لا حاجة الى
نقله فان فساد اكثره يتبين مما قررناه في رد كلام الطوفي فان
المحشي بقران المحشي وفساد بقيته يظهر بادنى التفات لمن
احاط باطراف ما قررناه وتحقيق مذهب الاشعري رحمه الله
وبالله التوفيق **الخاتمة** في الكشف عن حقيقة حال ابن
تيمية وابن القيم رحمهما الله في عقيدتهما بنقل نصوصهما والجمع
بين متفرقات كلامهما على وجه يظهر منه انهما ليسا قايلين
بالتجسيم ولا بالجهة على الوجه المستلزم للتحيز وهو التجسيم

ولوازمه بل على وجه التنزيه في عين الاثبات **فاقول** وبالله
التوفيق اعلم اولا اني وقفت على رسايل للتقي ابن تيمية وهي
الرسالة التدمرية المتعلقة بالكلام في التوحيد والصفات
وفي الشرع والقدر ورسالة في رجلين تنازعا في حدوث النزول
الى سما الدنيا كل ليلة باثبات ونفي ورسالة في رجلين
في الاعتقاد دفعا لاحدهما من لا يعتقد ان الله في السما فهو ضال
وقال الاخر ان الله سبحانه لا ينحصر في مكان وهما شافعيان وعلى كتاب
الروح وكتاب شفا العليل للتلميذ الشمس ابن القيم نعم بعد النظر الجامع
لمتفرقات كلامهما ظهر لي انه ليس في كلامهما التصريح بنفيه في
غير ما موضع وقد نسب اليهما القول بالمسالتين جماعة من اكابر
العلما من معاصريهما ومتاخريهما وهولاء الايمة الذين عزوا
اليهما القول بالمسالتين وان كانوا اجلا وان الظن بهم انهم
ما عزوا اليهما ما عزوا الا بعد الاطلاع في كلامهما على ما اوجب في
ظنهم ذلك وانهم لم يحملهم على ذلك عصبية ولا تحجب المعاصر منهم
لهما معاصرته عن القول بالحق بل انهم قصدوا بذلك الانتصار
للحق والنصح للدين واماطة الاذى عن طريق عقايد المسلمين
بمبلغ علمهم لكن هذا الظن انما ينبغي ان يسلك طريقه من لم
يقف على شي من كلامهما او وقف على ذلك ووافق فهمه لكلامهم
فهم المشنعين عليهما له واما من اطلع في كلامهما على ما يبدو صريحا
على نفي التجسيم وعلى نفي الجهة على الوجه المحذور فلا ينبغي له
ان يترك العلم واليقين لحسن الظن باوليك الايمة بل له ان

يشهد بما يعلم من كلامهما ثالثا وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا
للغيب حافظين. وهو في ذلك عامل بمضمون قوله تعالى ولا تقف
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه
مسولا وبمضمون قوله صلى الله عليه وسلم من قال في مومن ما ليس
فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقوله صلى
الله عليه وسلم من قفا مومنا بما ليس فيه يريد شينه به حبسه
الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال وقوله صلى الله عليه وسلم ايما رجل
اشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بري كان حقا على الله ان يذيبه
يوم القيامة في النار حتى ياتي بنفاذها قال وقول ابن عباس رضي الله
عنهما في الاية لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقول قتادة في
الاية لا تقل سمعت ولم تسمع ولا تقل رايت ولم تر فان الله
سايلك عن ذلك كله هذا وقد مر عن سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قوله ضع امر اخيك على احسنه حتى يجيك منه
ما يغلبك ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وسوا وانت
تجد لها في الخير محملا انتهى ونحن لم يجينا من ابن تيمية وتلميذه ما
ما يغلبنا لانا وجدنا لكلامهما في الخير محملا فوضعنا امرهما
على احسنه عملا بما الوصية واما من ينسب اليهما القول بالجسمية
والجهة فلعله جاه منهما ما غلبه حيث لم يفهم من كلامهما الا انهما
قايلان بالجسمية والجهة على الوجه المحذور فلم يجد لكلامهما
في الخير محملا فلم يضع امرهما على احسنه وكل ميسر لما خلق له
وكل مجتهد مطلقا او مقيدا اذا رزقه الله حسن القصد

وكان اجتهاده في نصر السنة ورد البدعة فهو ماجور اصاب او
اخطا وان تفاوتت مراتب الاجر فيهما نعم يوجد في كلامهما
ولاسيما ابن القيم من الجراة والاقدام على علما الامة واكابر الايمة
والمبالغة في التعنيف والتشنيع عليهم ما هو معروف عند
الواقفين على كلامهما حتى عد ذلك من داب ابن القيم في كلام بعض
المتاخرين وكثير من ذلك او اكثره ناش عن سو الفهم والانحراف
والله اعلم وليس كلامنا في تنزيه ساحتهما عن مثل هذه الامور
وانما المراد انما نسب اليهما من القول بالتجسيم والجهة على الوجه
المحذور ليس مما دل عليه كلامهما فيما وقفنا عليه اذا حقق فرجع
بين متفرقاته مع تسليم اشتمال كلامهما على التهور المبني على سو
الفهم المتضمن لترك رعاية الادب مع الاجلا ولكن الله سبحانه
وتعالى يقول وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وكل شي عنده بمقدار
اذا علمت هذا فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ تقي الدين
ابو العباس احمد بن تيمية رحمه الله تعالى في الرسالة التدمرية
بعد نحو ورقة من اولها ما نصه فاما الاول وهو التوحيد
في الصفات فالاصل في هذا الباب ان يوصف الله بما وصف
به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا فيثبت لله ما اثبته
لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه مع ما اثبته من الصفات
من غير الحاد لا في اسمايه ولا في اياته ثم قال بعد اسنشها ده
بابي الايجاد ما نصه فطريقتهم تتضمن اثبات الاسما والصفات
مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل

كما قال سبحانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير ففي قوله ليس
كمثله شي رد للتشبيه والتمثيل وقوله وهو السميع البصير رد
للالحاد والتعطيل وانه سبحانه بعث رسله باثبات مفصل ونفي
مجمل فاثبتوا له الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه
ما لا يصلح من التشبيه والتعطيل والتمثيل ثم بعد بسط في
بيان ذلك بسرد الايات وبعد بسط امور منها نقل مقالات
السلف في المتشابهات قال وكلام الايمة في هذا الباب
اطول واكثر من ان يسع هذه الفتيا عشره وكذلك كلام الناقلين
لمذهبهم مثل ما ذكره ابو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة
في الغنية عن الكلام واهله قال فاما ما سالت عنه من الصفات
وما جا منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها
واجراها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد
نفاها قوم فابطلوا ما اثبته الله وحققها قوم من المثبتين
فخرجوا من ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد
في سلوك الطريقة المستقيمة بين الامرين ودين الله بين الغالي
فيه والمقصر عنه والاصل في هذا الكلام على الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات الباري سبحانه انما
هو اثبات وجود لا اثبات كيفية فكذلك اثبات صفاته انما هو
اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا يد وسمع
وبصر وما اشبهها فانما هي صفات اثبتها الله لنفسه ولا
نقول ان معنى اليد القوة والنعمة ولا معنى السمع والبصر

في الصفات فرع الكلام ح

والعلم

والعلم ولا نقول انها جوارح ولا نشبهها بالايدي والاسماع
والابصار التي هي جوارح وادوات للفعل ونقول ان القول
وجب باثبات الصفات لان التوقيف ورد بها ووجب نفي التشبيه
عنها لانه ليس كمثله شي وعلى هذا اجرى قول السلف في احاديث
الصفات هذا كله كلام الخطابي وهكذا قاله ابو بكر الخطيب الحافظ
في رسالة اخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك وهذا الكلام الذي
ذكره الخطابي قد نقل نحوا منه من العلما ما لا يحصى مثل ابي بكر
الاسماعيلي والامام يحيى بن عمار السجزي شيخ الاسلام ابي
اسماعيل الانصاري الهروي وابي عثمان الصابوني شيخ الاسلام
وابي عمرو بن عبد البر النمري امام المغرب وغيرهم ثم قال بعد
اوراق واعلم ان من المتاخرين من يقول مذهب السلف اقرارها
على ما جات به من اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا اللفظ مجمل
فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه اراد بالظاهر نعوت
المخلوقين وصفات المحدثين مثل ان يراد بكون الله قبل وجه
المصلي انه مستقر في الحايط الذي يصلي اليه وان الله معنا ظاهره
الى جانبنا ونحو ذلك فلا شك ان هذا غير مراد ومن قال ان
مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد اصاب في المعنى
لكن اخطا في اطلاق القول ان هذا ظاهر الايات والاحاديث
فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع
اللهم الا ان يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس
فيكون القايل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذورا في هذا

الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف احوال الناس
وهو من الامور النسبية وكان احسن من هذا ان يبين لمن اعتقد
ان هذا الظاهر ليس هو الظاهر حتى يكون قد اعطى كلام الله
وكلام رسوله حقه لفظا ومعنى وان كان الناقل عن السلف اراد
بقوله الظاهر غير مراده عندهم ان المعاني التي تظهر من هذه
الايات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا يختص بصفة
المخلوقين بل واجبة لله او جائزة عليه جوازا ذهنيا او جوازا
خارجيا غير مرادة فهذا قد اخطا فيما نقله عن السلف او تعمد
الكذب فما يمكن احد قط ان ينقل عن احد من السلف ما يدل لا نصا
ولا ظاهرا انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان
ليس له سمع وبصر ويد حقيقة وقد رايت هذا المعنى ينتحله
بعض من يحكيه عن السلف ويقولون ان طريقة اهل التاويل
هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقا على ان
هذه الايات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف
امسكوا عن تاويلها والمتاخرون راوا المصلحة في تاويلها لمسيس
الحاجة الى ذلك ويقول الفرق ان هولاء قد يعينون المراد بالتاويل
واولئك لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق
كذب صريح على السلف اما في كثير من الصفات فقطعا مثل ان
الله على العرش فان من تامل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم
يحكم هنا عشر عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله
فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير

منهم

منهم قد صرح في كثير من الصفات بذلك والله يعلم اني بعد
البحث التام ولقد ما امكن من كلام السلف ما رايت كلام
احد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقراين على نفي الصفات
الخبرية في نفس الامر بل الذي رايته يثبتون جنسها في الجملة
وما رايت احدا نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على
المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي
الصفات ايضا ثم قال وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله
تشبيها وكانوا اذا راوا الرجل قد اغرق في نفي السنة قالوا هذا جهمي
معطل الى ان قال ولابد للمنحرفين عن سنة ان يعتقدوا فيهم يعني
اهل السنة نقصا يذمونهم به ويسمونهم باسماء مكذوبة الى
ان قال وكقول الجهمي من قال ان الله فوق العرش فقد زعم انه محصور
وانه جسم محدود وانه مشابه لخلقه وكقول المعتزلة من قال
ان الله له علم وقدرة فقد زعم انه جسم وهو مشبه لان هذه
الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم
او جوهر فرد ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء
المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربه
اعلم والله من ورائهم بالمرصاد ولا يحيق المكر السيء الا باهله
وجماع الامر ان الاقسام الممكنة في ايات الصفات واحاديثها
ستة اقسام كل قسم عليه طائفة من اهل القبلة قسمان يقولون
تجري على ظواهرها وقسمان يقولون هي على خلاف ظواهرها وقسمان
ساكتون اما الاولون فقسمان احدهما من يجريها على ظاهرها

اللايق بجلال الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقات
اما جوهر واما عرض فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة
والرضا ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليد والعين
في حقه اجسام فاذا كان الله موصوفا عند عامة اهل الايمان
بان له علما وقدرة وكلاما ومشية وان لم يكن ذلك عرضا يجوز
عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز ان يكون وجه الله
ويداه ليست اجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين
وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره من السلف وعليه
يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو امر واضح فان
الصفات كالذات كان ذات الله ثابتة حقيقة من غير ان
تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير
ان تكون من جنس صفات المخلوقات الى اخر ما بسط فيه الكلام
رحمه الله انتهى الغرض منه وفيما نقلناه كفاية لمن فهم وانصف
والخطاب معه ونقول وبالله التوفيق حاصل ما يدل عليه
كلامه انه يثبت لله ما اثبته الله لنفسه وينفي عنه ما نفاه
تعالى عن نفسه اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل
كما قال تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فهو في عين
اتصافه بالسمع والبصر منزه عن مماثلة المخلوقات وذلك لما
سنوضحه مما حاصله ان معرفة حقيقة اثبات الصفات
لذات موقوفة على معرفة حقيقة الذات المثبتة هي لها
ومن المعلوم ان ذات الحق لا يعلم كنهها مع القطع بانه ليس كمثله

شيء وهو السميع البصير فاثبات الصفات له تعالى ليس كمثل
اثباتها لذوات المخلوقين وكلما كان كذلك لم يلزم من اثبات
السمع والبصر واليد والعين وما ورد من هذا الباب لله تعالى
تشبيه وتمثيل وتجسيم مع انها في المخلوقات جوارح واجسام
ولم يلزم من اثبات الحياة والعلم والقدرة والارادة كون الحق جوهرا
وجسما قام به هذه الصفات مع انها في المخلوقات اعراض وكيفيات
ولم يلزم من كونه سبحانه استوى على العرش حقيقة ان يكون جسما
او مفتقرا الى العرش وغير ذلك من الامور الفاسدة التي يتوهم كونها
من لوازم الاستواء الحقيقي وذلك لان هذه اللوازم انما يتصور
لزومها لو كان الذات المثبتة لها هذه الصفات كذوات
المخلوقين او كانت تلك الالفاظ الدالة على هذه الصفات
حقيقة فيما هو من صفات المخلوقين وكلتا المقدمتين باطلتان
اما بطلان الاولى فبالنص والقطع واما بطلان الثانية
فلان من اثبت لله حياة وعلما وقدرة وغير ذلك من اهل
السنة قالوا انها في الحق ليست اعراضا ولم يقل احد فيما نعلم ان
اطلاقها على الله تعالى مجاز فاذا كان اطلاقها على الله على وجه
الحقيقة مع انها في المخلوقات اعراض وكيفيات دل على ان
حقيقتها ليست محصورة في الاعراض بل هي امر كلي تصدق على
افراد مختلفة الحقائق منها الكيفيات والاعراض فكذلك
نقول في اليد وامثالها ان حقيقتها ليست منحصرة في الجا رحة
بل هي اعم منها ومن غيرها كان يقال هي ما به البطش وهو اعم

من ان يكون جارحة اوغيرها وكذلك نقول في الاستوا ليس
حقيقة مخصوصة في استقرار جسم على جسم بل هو اعم فانه نسب
الى الله والله تعالى ليس بجسم بالاتفاق والاصل في الاطلاق
الحقيقة فهو اعم من ان يكون استقرار جسم على جسم او استقرار
وجود ليس بجسم ولا يعلم كنهه على موجود اخبر عن نفسه بالاستوا
عليه على الوجه الذي يليق بذلك الموجود المنزه المجهول لكنه
المستلزم مجهولية كنهه لنا مجهولية نسبة الاستوا اليه تعالى
لنا على التعيين فالعبارة الشاملة له اجمالا ان نقول استوى
على العرش حقيقة على الوجه الذي يليق بذاته المنزهة عن
الاشباه لا كما يتوهم من صفات المخلوقين ومن هنا يظهر
لكل لبيب منصف ان قول ابن تيمية رحمه الله ان الله فوق
العرش حقيقة انتهى بلفظه وقوله ان الله في العلو لا في السفل
انتهى بلفظه ليس فيه اثبات الجهة على وجه يستلزم محذورا
من اثبات الجسمية لله تعالى او شيء من لوازمها الفاسدة اذ لا
يلزم ذلك الا اذا كان فوقيته تعالى كفوقية المخلوقات ولا
يكون ذلك الا اذا كان ذاته كذات المخلوقات لكن اللازم
باطل بالنص والاتفاق فكذا الملزوم فلا يكون فوقيته كفوقية
المخلوقات فلا يلزم من قوله ان الله فوق العرش حقيقة
تجسيم ولا جهة على وجه يستلزم محذورا اصلا ولعل من
نسب اليه اثبات الجهة لله تعالى على وجه يستلزم محذورا
فهم من قوله حقيقة انها كفوقية المخلوقات وقد تبين ان

هذا

هذا ليس بمراد له بل صرح برده على من قال به والله اعلم
ويزيد المقام وضوحا قوله في الرسالة التي تكلم فيها على حديث
النزول كل ليلة الى سماء الدنيا في قول المثبت انه تعالى ينزل
الخ ما نصه من قال ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فقوله
حق وصدق وان كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني
الى ان قال لكن من فهم من هذا الحديث وامثاله ما يجب تنزيه
الله تعالى عنه كتمثيله بصفات المخلوقين ووصفه بالنقص
المنافي لكماله الذي يستحقه فقد اخطا في ذلك ايضا انتهى
فها هو ذا مع اثباته النزول وانه الحق نفى ان يكون كنزول المخلوقين
حتى يحتاج الى تاويله بل النزول على حقيقته بلا تاويل وانه
ينزل كل ليلة حقيقة بلا تاويل ولكن نزولا يليق بذاته
المقدسة لما مر ان حقايق هذه الامور ليست منحصرة في صفات
الاجسام بل هي اعم لما بينا انها تنسب الى الحق والخلق والاصل
في الاطلاق الحقيقة ولا يعدل عنها الا لضرورة ولا ضرورة
لعدم استلزامها محالا اذا جعلت حقايقها اعم مما هو من نعوت
المخلوقين وحينئذ ينسب الى كل من الحق والخلق بحسب ما يليق
بالمنسوب اليه فان كان حقا فنسبته اليه مجهولة للجهل
بكنه الذات مع القطع بالتنزيه وان كان خلقا فهو المعروف
الغني عن البيان ثم بعد ان قرر ان النزول حقيقي قال
بعد اوراق وجمهورهم اي اهل الحديث على انه تعالى لا يخلو
منه العرش وهو المأثور عن الائمة المعروفين بالسنة ولم

يُنقل عن احد منهم باسناد صحيح ولا ضعيف ان العرش يخلو منه
انتهى فلوكان مراده بالنزول الحقيقي صح كالاستوا الحقيقي
ما يليق بجلال ذاته المقدسة ويزيده نا بيدًا قوله في
مكان اخر ليس مقتضى موارد المعية ان يكون ذات الرب
مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها انتهى وعلى
هذا قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ولا يلزم منه الانبية
على وجه يستلزم محذورًا ولهذا قال في مكان اخر ويجوز وصفه
بانه في كل مكان انتهى بلفظه مع نصه ان الله في العلو لا في السفل
وانه تعالى فوق العرش حقيقة وانه لا يخلو منه العرش مع انه
ينزل كل ليلة الى سما الدنيا حقيقة وذلك لان الله تعالى
علي لذاته على كل ممكن لكونه غنيا بذاته عن العالمين وكل
ممكن فهو مفتقر اليه فهو القاهر فوق عباده حيث كانوا ولهذا
ورد من تسبيح بعض الملايكة سبحانك حيث كنت فانه اثبت
الحيث المطلق ونزهه عن لوازم الحيث في عين تجليه في الحيث
كذي الحيث فهو في علو قدسه حيث كان فانه ورد لو دليتم
بحبل لهبط على الله ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن
الاية كما ورد استوى على العرش وكما ورد انه بكل شي محيط
فاذا جمع بين وجوه الوارد وتحصل انه العلي القدوس الذي
ليس كمثله شي في عين وهو معكم اينما كنتم فليفهم وبالله التوفيق
ثم قال ابن تيمية في محل اخر لفظ الجسم والتشبيه فيه اجمال
واشتباه فان هولا النفاة لا يريدون بالجسم الذي نفوه

ماهو المراد بالجسم في اللغة فان الموصوف بالصفات لا يجب ان
يكون هو الجسم في اللغة وانما يريدون بالجسم ما اعتقدوا انه
مركب من اجزا واعتقدوا ان كل ما يقوم به الصفات فهو مركب
من اجزا وهذا الاعتقاد باطل بل الرب تعالى موصوف بالصفات
وليس جسما مركبا لا من الجواهر المفردة ولا من المادة والصورة
كما يدعون فلا يلزم من ثبوت الصفات لزوم ما ادعوه من المحال
بل غلطوا في هذا التلازم انتهى وهو كلام صحيح صريح في نفي التجسيم
فانظره وقل رب زدني علمًا ثم قال ان الرب عز وجل يجب
تنزيهه عن كونه مركبا من الاجزا ومماثلا للمخلوقات فانه سبحانه
احد صمد والاحد ينفي التمثيل والصمد ينفي ان يكون قابلا للتفريق
والتقسيم والبعضية سبحانه وتعالى فضلا عن كونه مؤلفًا
ركب والف من الاجزا انتهى فانظر هذا النص الصريح واعتبر ثم قال
وقد يراد بلفظ الجسم والمتحيز ما يشار اليه بمعنى ان الايدي
ترفع اليه في الدعا وانه يقال هو هنا وهناك ويراد به القايم
بنفسه ويراد به الموجود ولا ريب ان الله تعالى موجود قايم
بنفسه وهو عند السلف واهل السنة ترفع الايدي في الدعا
وهو فوق العرش انتهى ثم قال والتحقيق ان كلا من الطايفتين
على اللغة اوليك الذين يسمون كل ما هو قايم بنفسه جسما وهولا
الذين سموا كل ما يشار اليه وترفع الايدي اليه جسما انتهى وقال
في اواسط رسالته المتعلقة بقول القايل ان الله في السما وقول
الاخر ان الله لا يحصره مكان ما نصه ان ذكر لفظ الجسم
في اسما الله تعالى وصفاته بدعة لم ينطق بها كتاب ولا سنة

ولا قالها أحد من سلف الامة وائمتها لم يقل احد منهم ان الله جسم
ولا ان الله ليس بجسم والجسم لفظ مجمل معناه في اللغة هو البدن
ومن قال ان الله مثل بدن الانسان فهو مفتر على الله تعالى بل
من قال ان الله يماثل شيئا من المخلوقات فهو مفتر على الله
ومن قال ان الله ليس بجسم واراد بذلك انه يماثل شيئا من المخلوقات
فالمعنى صحيح وان كان اللفظ بدعة انتهى فانظر بعين الانصاف
ما تركه **وقال** في اولها اعتقاد الشافعي رضي الله عنه هو
اعتقاد سلف ائمة الاسلام كمالك والثوري والاوزاعي
وابن المبارك واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وهو مرعد
الى ان قال فانه ليس بين هؤلاء الائمة وامثالهم نزاع في اصول
الدين ولذلك ابو حنيفة رضي الله عنه فان الاعتقاد الثابت
عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد
هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان وهو
ما نطق به الكتاب والسنة **قال** الشافعي في اول خطبة الرسالة
الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه
فبين رحمه الله ان الله موصوف بما وصف به نفسه في كتابه
وعلى لسان رسوله وكذلك قال احمد بن حنبل لا يوصف الله
الا بما وصف به نفسه او وصفه رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث
وهكذا مذهب سائرهم انهم يصفون الله بما وصف به نفسه
وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكييف ولا تمثيل بل يثبتون له ما اثبته لنفسه من الاسماء
الحسنى والصفات العلى ويعلمون انه ليس كمثله شيء لا في ذاته

ولا

ولا صفاته ولا افعاله فانه كما ان ذاته ليست كالذوات المخلوقة
فصفاته ليست كالصفات المخلوقة بل هو سبحانه موصوف بصفات
لا يماثله شيء انتهى وهذا كنظيره الذي سبق كلام في غاية الاتقان
مقبول شرعا وعقلا لا يقدح فيه قادح اذ احقق بان الله تعالى
وبالله التوفيق **وقال** في اخرها ودين الله بين الغالي فيه والجافي
عنه وقد قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا والسنة في الاسلام
كالاسلام في الملل واهل السنة وسط في الصفات بين اهل
التمثيل واهل التعطيل وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا انتهى وهذا كلام متقن حسن لا غبار عليه
وفيما نقلناه من نصوصه وقررناه على وجه موافق للكتاب
والسنة وعقيدة السلف كفاية لبيان حاله في اعتقاده وبراءة
ساحته من القول بالتجسيم والقول بالجهة على الوجه المحذور وعند
كل لبيب منصف وحاصل ما استقر عليه كلامه اثبات المتشا بهات
لله كما اثبت الله مع التنزيه بليس كمثله شيء كما نزه الله وزبدة
ذلك ان المتشابهات المثبتة لله تعالى ليس معانيها الحقيقية
منحصرة في نعوت المخلوقات بل هي موضوعة لمعان كلية لها افراد
مختلفة الحقائق تختلف حقائقها باختلاف المنسوب اليه فاذا
نسبت الى المخلوقات كانت بحسب ما يليق بالمخلوقات من
الجواهر والاعراض واذا انتسبت الى الله تعالى كانت منزهة بتنزيه
المنسوب اليه ومعلوم ان المنسوب اليه ليس كمثله شيء فكذلك
المتشابهات المنسوبة اليه وكل من اتقن هذا الاصل لم يحتج

الى تاويل في شي من المتشابهات اصلا اذ كلامه من اوله انما قصده
تنزيه الحق عما لا يليق بجنابه بنا على ظن انحصار حقايقها اللغوية
فيما هو من نعوت المخلوقين فاذا تيسر تنزيه الحق سبحانه عما لا يليق
بجنابه الكريم مع ابقا تلك المتشابهات على حقايقها اللغوية بنا
على انها موضوعة لمعان كلية لها افراد مختلفة مختلفة الحقايق
فتكون حقايقها اعم مما يتبادر الى بعض الاوهام من انحصارها
في نعوت المخلوقات كان غاية في الباب لحصول المقصود الذي
هو التنزيه مع عدم صرفها عن ظواهرها وعدم اخراجها عن حقا يقها
اللغوية وهذا المسلك ان لم يكن اكمل في الايمان والعلم من مسلك
التاويل المعروف اي التاويل بالنظر الفكري لم ينحط عن درجته
قطعا بل هو اكمل عند الراسخين في العلم العالمين بتاويل المتشابهات
من طريق الوهب الالهي لا النظر الفكري والله اعلم **ثم** ان ابن القيم
وان كان على عقيدة شيخه كما عند المشنعين عليها فتبرية شيخه
عما نسب اليه تبرية له ايضا وتصحيح اعتقاده وتطبيقه على الكتاب
والسنة وعقيدة السلف تصحيح لاعتقاده وتطبيقه ولكنا ننقل من
كلامه ما يويد ذلك ويوكده تاكيدا **فنقول** وبالله التوفيق قال
الشمس ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح ما نصه والفرق بين اثبات
حقايق الاسما والصفات وبين التشبيه والتمثيل ما قاله الامام
احمد ومن وافقه من ايمة الهدى ان التشبيه والتمثيل ان يقول
يد كيدي او سمع كسمعي او بصر كبصري ونحو ذلك واما اذا قلت سمع
وبصر ويد ووجه واستوا لا يماثل شيئا من صفات المخلوقين
بل بين الصفة والصفة من الفرق كما بين الموصوف والموصوف فالى

تمثيل

تمثيل ههنا واي تشبيه لولا تلبيس الملحدين فمدار الحق الذي اتفقت
عليه الرسل على ان يوصف الله بما وصف الله به نفسه وبما وصفه
به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل اثبات
الصفات ونفي مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد
كفر ومن جحد حقايق ما وصف الله به نفسه فقد كفر ومن اثبت
له حقايق الاسما والصفات ونفى عنه مشابهة المخلوقات فقد
هدي الى صراط مستقيم انتهى بلفظه **وقال** في كتاب الروح
ايضا في المسالة السادسة عشر في مستقر الارواح ما بين الموت
الى يوم القيامة ما نصه هذه مسئلة عظيمة تكلم الناس فيها
واختلفوا وساق اقوال الناس فيها ثم اخذ بذكر ماخذ الاقوال وما
لكل قول وما عليه وما هو الصواب من ذلك قال ان للروح شانا
اخر تكون في الرفيق الاعلى في اعلا عليين ولها اتصال بالبدن
بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه
السلام وهي في الملا الاعلى وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع
حيث يعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التي اذا
شغلت مكانا لم يمكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض بل الروح
تكون فوق السموات في اعلا عليين وترد الى القبر فترد السلام
وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك الى ان قال ولا يضيق
عطنك عن كون الروح في الملا الاعلى تسرح في الجنة حيث شات
وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام
فللروح شان اخر غير شان البدن وهذا جبريل عليه السلام

رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستمائة جناح منها جناحان قد سد
بهما ما بين المشرق والمغرب وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى
يضع ركبتيه على ركبتيه ويديه على فخذيه وما اظنك يسعك
بطلان انه كان ح في الملا الاعلى فوق السموات حيث هو مستقر
وقد دنا من النبي هذا الدنو فان التصديق بهذا له قلوب خلقت
له واهلت لمعرفته ومن لم يتسع بطلانه لهذا فهو اضيق لان يتسع
للايمان بالنزول الالهي الى سماء الدنيا كل ليلة وهو فوق سمواته
على عرشه لا يكون فوقه شي بل هو العالي على كل شي وعلوه من لوازم
ذاته وكان دنوه عشية عرفة من اهل الموقف وكذلك مجيئه يوم
القيمة لمحاسبة خلقه واشراق الارض بنوره وكذلك مجيئه
الى الارض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها وهيأها لما يراد
منها وكذلك مجيئه اليها قبل يوم القيامة حتى يقبض من عليها
ولا يبقى بها احد كما قال عليه السلام فاصبح ربك يطوف في الارض
وقد خلت عليه البلاد وهو فوق سمواته على عرشه انتهى بلفظه
رحمه الله وفيه كفاية عن نقل غيره من كلامه عند كل منصف في
موافقته للسلف كشيخه وقد مر النقل ان الائمة الاربعة واصحابهم
على هذا وان الشيخ الاشعري على منهاجهم بتصريح الحافظ الكبير
ابي القاسم ابن عساكر رحمه الله بذلك وشهد له نصوصه في كتاب
الابانة الذي هو المعتمد في المعتقد وانه اخر مصنفاته كما صرح
به الحافظ ابن تيمية في الفتيا الحموية نقلا عن اصحاب الاشعري
حيث قال ما نصه وقال ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي

وكذلك

سماه

سماه الابانة في اصول الديانة وقد ذكر اصحابه انه اخر كتاب صنفه
وعليه يعتمدون في الذب عنه ح انتهى وقال الحافظ ابن عساكر
ان اصحاب الاشعري يعتقدون ما فيها اشد اعتقاد ويعتمدون
عليها اشد اعتماد وانهم بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة صفات
لله عز وجل معطلة لكنهم يثبتون له سبحانه ما اثبته لنفسه
من الصفات ويصفونه بما اتصف به في محكم الايات وبما وصفه
به نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح الروايات وينزهونه عن
سمات النقص والافات فاذا وجدوا من يقول بالتجسيم والتكييف
من المجسمة والمشبهة ولقوا من يصفه بصفات المحدثات
القائلين بالحدود والجهة فحينئذ يسلكون مسلك التاويل
ويثبتون تنزيهه باوضح الدليل ويبالغون في اثبات التقديس
له والتنزيه خوفا من وقوع من لا يعلم في ظلم التشبيه فاذا
امنوا من ذلك راوا ان السكوت اسلم وترك الخوض في التاويل
الا عند الحاجة احزم الى ان قال ولم يزل كتاب الابانة مستصوبا
عند اهل الديانة سمعت الشيخ ابا بكر احمد بن اسماعيل بن محمد
ابن بشار النيسابوري البوشنجي المعروف بالخركردي الفقيه
الزاهد يحكي عن بعض شيوخه ان الامام ابا عثمان اسماعيل بن
عبد الرحمن بن احمد الصابوني النيسابوري قال ما كان يخرج
الى مجلس درسه ويقول الا وبيده كتاب الابانة لابي الحسن
الاشعري ويقول ما الذي ينكر على من هذا الكتاب شرح مذهبه
فهذا قول الامام ابي عثمان وهو من اعيان اهل الاثر بخراسان

الى هنا كلام الحافظ ابن عساكر بلفظه رحمه الله تعالى وشكر
سعيه امين **تتمة** قال الشيخ ابن حجر المكي رحمه الله في
حاشية الشمايل قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية انه ذكر
شيا بديعا وهو انه صلى الله عليه وسلم لما راى ربه واضعا يده
بين كتفيه اكرم ذلك الموضع بالعذبة قال العراقي ولم نجد له
اصلا اقول بل هذا من قبيح رايهما وضلالهما اذ هو مبني على ما
ذهبا اليه واطالا في الاستدلال له والحط على اهل السنة في
نفيهم له وهو اثبات الجهة والجسمية لله تعالى عما يقول الظالمون
والجاحدون علوا كبيرا الى هنا كلامه **قلت** اما اثبات
الجهة والجسمية المنسوب اليهما فقد تبين حاله وانهما لم يثبتا
الجسمية اصلا بل صرحا بنفيها في غير ما موضع من تصانيفهما ولم
يثبتا الجهة على وجه يستلزم محذورا وانما اقرا قوله تعالى استوى
على العرش على ظاهره الذي يليق بجلال ذات الله تعالى لا الظاهر
الذي هو من نعوت المخلوقين حتى يستلزم الجسمية وقد بينا انه
مبني على اصل هو ان الاستوا وغيره من المتشابهات حقيقتها
اللغوية اعم من ان تكون من صفات الحق ونعوت الخلق
بناء على انها وضعت لمعاني كلية لها افراد مختلفة الحقايق لاختلاف
المنسوب اليه حقا وخلقا وكلما كان كذلك فلا تشبيه ولا تمثيل
ولا تجسيم ولا تعطيل ولا حاجة الى التاويل وهذا هو الغاية
في هذا الباب عند اللبيب المنصف الذي يوجه اليه الخطاب
واما قول العراقي لم نجد له اصلا ففيه ان ما ذكره ابن القيم ليس فيه

ان ما عزاه لشيخه منقول حتى يتجه عليه انه لا اصل له وانما فيه
ان ما عزاه لشيخه ابدا مناسبة منه بديعة لارخا العذبة فهو
مما هو منقول وهو الحديث المشار اليه بقوله لما راى ربه واضعا
يده بين كتفيه وهو حديث ابن عباس مرفوعا اتاني الليلة ربي
في احسن صورة الى ان قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت
برد انامله بين ثديي الحديث اخرجه جماعة منهم احمد والترمذي
وحسنه وحديث معاذ بن جبل مرفوعا اما اني ساحدثكم ما
حبسني عنكم الغداة الى ان قال فاذا انا بربي تبارك وتعالى في
احسن صورة الى ان قال فرايته وضع كفيه بين كتفي الحديث
اخرجه جماعة منهم الترمذي وصححه وحديث جابر بن سمرة مرفوعا
ان الله تجلى لي في احسن صورة الى ان قال فوضع يده بين
كتفي الحديث اخرجه الطبراني في السنة وابن مردويه كما في الدر
المنثور للحافظ السيوطي رحمه الله واذا كان هذا فهما منه واستنباطا
لا نقلا لم يرد عليه قول العراقي ولم نجد له اصلا **ثم** لا يخفى ان تجلي
الحق سبحانه في الصورة قد ثبت بالاحاديث الصحيحة ولا استحالة في
ذلك حتى يحتاج الامر الى تاويلها لان الله سبحانه لكونه ليس كمثله شيء
منزه عن الصورة وان تجلى فيها لعدم استلزام تجليه فيها كونه ذا
صورة لان الله سبحانه له الاطلاق التام لذاته القابل لكل قيد
شا ظهوره فيه المنزه عن كل قيد في عين ظهوره فيه فلا يلزم
من اثبات التجلي في الصورة ايمانا بظاهر الاحاديث الصحيحة
تجسيم اصلا وابن تيمية مع انه قايل بالتجلي منزه لتجليه تعالى

عن مماثلة تجلي غيره تعالى قال ما نصه ليس كمثله شيء لا في ذاته
ولا صفاته ولا افعاله الى ان قال وهو الذي كلم موسى تكليما وتجلى
للجبل فجعله دكا ولا مماثله شيء من الاشيا في شيء من صفاته فليس
كعلمه علم احد الى ان قال ولا ككلامه تكليم احد ولا كتجليه تجلي
احد انتهى بلفظه فالمناسبة التي ابداها ابن تيمية مناسبة صحيحة
غير مستلزمة للتجسيم ولا مبنية اصلا كما ظنه ابن حجر بل على
صحة التجلي في المظهر مع التنزيه بليس كمثله شيء وقد دل النقل
الصحيح على وقوع التجلي في المظهر ودل التنزيه بليس كمثله
شيء على انه لا حاجة الى التاويل لعدم استلزام ظاهره المحال الموجب
للتاويل لما بيناه انفا وبين القول في التجلي في المظهر مع التنزيه
وبين التجسيم بون بعيد بحيث لا يترائى ناراهما وقد دل كلام ابن
تيمية عموما وخصوصا على ان الحق سبحانه وتعالى يتجلى لما يشا على
اي وجه يشا مع التنزيه بليس كمثله شيء في كل حال حتى في حال
تجليه في المظهر وهذا هو الغاية في الايمان والعلم ايضا وتحقيق
ذلك بعد الايمان الجامع بين ليس كمثله شيء وساير المتشابهات
على ما قال الله واراد لا كما يتوهم يتضح من تحقيق قول الاشعري رحمه
الله وجود كل شيء عين حقيقته المتعين لان وجوده الحق سبحانه
هو الوجود المحض القابل لكل تجلي فانه الواسع المحيط المنزه عن كل
منها في كل حال حتى في حال تجليه فيما شا منها من كل منها من كل مركب وبسيط
وهذا اصل من تحققه عن امعان نظر من فطرة سليمة عن تشعبات
الآرا المنحرفة التي صارت اذى في طريق عقايد المسلمين انكشف

له باذن الله وحسن توفيقه صحة اجرا المتشابهات على ظاهرها
اللايق بجلال ذات الله الواسع الحكيم ذي الجلال والاكرام مع التنزيه
بليس كمثله شيء فزال عنه جميع الاشكالات الواردة على الاذهان
في المتشابهات باذن الله وصار مبرهنا ومخلصا يرجع اليه عند
كل اشكال والله المستعان هو الله الكبير المتعال وظهر له ان
قول الاشعري هذا هو التحقيق الاتم الذي ليس وراه الا عين
اليقين ثم حق اليقين وبالله التوفيق الملك المبين سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين **قال** المولف عفى الله عنه تم تسويد الاصل ضحى يوم
الاحد ٩ ذي الحجة الحرام سنة ١٠٧٠ ثم تم تسويدها الحق بالخاتمة
ضحى يوم الثلاثا ٦ ذي الحجة الحرام سنة ١٠٧١ بظاهر المدينة
المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام عدد خلق الله بدوام
الله الملك العلام انتهى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله
رب العالمين

م

ويليه الدر الملتقط وتبيين الغلط ونفي اللغط